# الفصل الثالث عشر

## الأبناء يلتهمون ثوراتهم

*إن القضية الجوهرية لأي ثوري هي قضية السلطة، وبدون فهم واضح لهذا الموضوع لا يمكن الحديث عن أية مشاركة فعّالة وواعية في الثورة، ناهيك عن قيادتها... ولا يكفي أن يرفض عامة الشعب الاستمرار في العيش كالسابق. بل يجب أن يكون من بين الأسباب أيضًا عجز النخبة عن إدارة البلاد كالسابق.*

**فلاديمير لينين**

*كل الثورات تنتهي بردّة للخلف. هذا أمر لا مفرّ منه. إنه قانون الحياة. وكلما كانت الثورة أكثر عنفًا كانت الرّدة للوراء أقوى، هناك رابط خفيٌ بينهما.*

**نيقولاي بيرديابيف**

### هل كانت ثورات بقناع "الفيس بوك" أم كانت فتنة؟

في السابع عشر من ديسمبر 2010م قام الشاب التونسي ذو الستة والعشرين ربيعًا **محمد بوعزيزي** الحاصل على شهادة البكالوريا، بشراء عربة خشبية لبيع الخضروات والفاكهة. وقامت ضابطة في الشرطة التونسية بمصادرة بضاعته وتوجيه إهانة له. وباءت محاولاته بالشكوى إلى السلطات بالفشل. وشعر الشاب باليأس والإهانة والعجز عن تأمين لقمة العيش لنفسه، فأشعل النار في نفسه.

وتُوفي الشاب متأثرًا بآلام الحروق بعد أسبوعين، نشرت وسائل الإعلام المستقلة والإنترنت خبر مقتله، ويعتبر الانتحار من الذنوب الكبيرة في الإسلام إلا أن هذه الحالة فجَّرت مشاعر الغضب بين التونسيين. خرج عشرات الآلاف إلى الشوارع احتجاجًا ضد النظام القمعي غير الإنساني وضد الفساد ودكتاتورية الرئيس التونسي **بن علي** وحاشيته.



obeikandl.com

وعلى الرغم من الإجراءات القاسية التى اتخذتها السلطات وأوْدت بحياة بعض المتظاهرين، فـإن الشـرطة اضطرت للتراجـع أمام الجماهير الحاشـدة ولم يتدخل الجيـش. فر **بن علي** (رفضت فرنسـا استقباله، فيما وافقت المملكة العربية السعودية على توفير ملاذ له) ودخلت تونس في مرحلة من الفوضى.

قبل الأحداث كانت تونس تعد جنة للسـياح وبلدًا مسـتقرًّا، حصل على استقلاله عن فرنسـا عن طريق التفاوض السياسي. ومنذ عهد **الحبيب بورقيبه**، أول رئيس تونسي ظلت تونس دومًا بلدًا علمانيًّا، يتمتع بمسـتوى تعليمي مرتفع، وطبقة وسطى كبيرة الحجم، وتساوٍ بين عدد الذكور والإناث (نسـبة النساء في البرلمان **20 %** ويحظر تعدد الزوجات). كانت الشريعة الإسلامية تلعب دورًا هامشيًّا في المجتمع التونسي، وكانت الطبقة المثقفة تتقن الفرنسية، وكانت قريبة من الثقافة الأوروبية. كان استخدام الانترنت شائعًا بين المواطنين، وتمتعت الدولة بعلاقات وطيدة مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. تطور الاقتصاد التونسي القائم على التعاون مع الاتحاد الأوروبي. كان هناك حوالي مليون تونسي يعيشون في أوروبا، وكانت تونس تستقبل سنويًّا عدة ملايين من السيَّاح.

غـير أن فترة حكم **بن علي** التى اسـتمرت 23 عامًا لم تسـتطع التغلب على التحدي الأساسي في المجتمع، وهو خفض مستوى البطالة وخاصة بين الشباب. حيث ارتفعت نسبة البطالة بشـكل ملحوظ بسـبب الأزمة المالية العالمية في عامي 2008-2009م، وبسبب القيود التى فرضت على الهجرة إلى أوروبا. وظهرت العديد من المشـكلات بسبب التوقعات المبالغ فيها من قِبل الشـباب المثقف، وبين غيـاب وافتقاد الإمكانيات لتحقيقها على أرض الواقع. رفض الفقراء الاسـتمرار في العيش هكذا وفي المقابل لم تسـتطع النخبة الحاكمة أن تستمر في قيادة البلاد وفق الأسلوب القديم. تغيرت طبيعة المحتجين فقد أصبحوا شبابًا مثقفًا يقومون بالتنسـيق فيما بينهم باسـتخدام الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر.

وقد أدت القيود المفروضة على حرية التعبير والرأي إلى انتشار أفكار الإسلام الأصولي بين طبقة الفقراء وحتى بين الطبقة الوسطى. قام النظام السلطوي في تونس بقمع المعارضة وحظر نشـاط الأحزاب الإسـلامية. وقد جلب ذلك تعاطفًا **لبن علي** مـن قِبل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسـا. وفي الوقت نفسه اعتبر كثير من التونسيين الشخصيات الإسلامية ضحايا وأعداء لنظام بغيض.

ومن أسباب الغضب الشعبي أيضًا انتشار الفساد في السلطة. حيث كانت أسرة زوجة الرئيس التونسي تحظى بكراهية شديدة بين المواطنين، حيث سيطرت هذه العائلة (**عائلة الطرابلسي**) على قطاع البنوك والعقارات والسياحة وغيرها.

كان الوضع في حاجة إلى شرارة بسيطة ليشتعل الغضب الشعبي في المجتمع، ويخرج المحتجون إلى الشوارع. وكان انتحار الشاب بائع الفاكهة التعيس هو تلك الشرارة.

بدأت فترة من الفوضى، وفراغ السلطة، وانتشار الجرائم، وهو ما عمَّق من الأزمة الاقتصادية. لم تهدأ المظاهرات، وطالب الناس بسرعة نقل السلطة إلى المعارضة قبل إجراء انتخابات رئاسية جديدة. ومما عقَّد الموقف أكثر تدفق عشرات الآلاف من اللاجئين من ليبيا.

وقد ألهم نجاح الثورة التونسية المصريين. ومع حلول عام 2011م كانت هناك شبكة إنترنت وفضاء إعلامي موحَّد في العالم العربي وكان أي حدث يقع في بلد عربي ينتقل مباشرة إلى كل البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، ويدفع إلى اشتعال أحداث مشابهة على الرغم من اختلاف الأوضاع السياسية والاقتصادية بين هذه الدول. وفي 25 يناير اشتعلت مظاهرات احتجاجية ضد الحكومة في مصر تلاها في 27 يناير في اليمن ثم في 13 فبراير في البحرين وفي 15 فبراير في ليبيا، وتلتها لاحقًا سوريا ودول أخرى.

خلال القرن الماضي، كانت الأزمات الداخلية تجد سبيلاً للحل في العالم العربي في الانقلابات العسكرية التي تقوم مجموعة من الضباط سرًّا بالإعداد لها. أما في العقد الثاني من القرن الحالي أصبح خلع الحكَّام يتم بفعل مظاهرات، واحتجاجات جماهيرية، يتم الإعداد والتنظيم لها بمساعدة تقنيات المعلومات، والقنوات الفضائية.

هبَّ الشعب المصري للثورة، وهو الشعب الأكبر عددًا في العالم العربي 90 مليون نسمة، وتواصلت الاحتجاجات من 25 يناير إلى 11 فبراير، وامتدت الاحتجاجات من الإسكندرية إلى أسيوط ومن المنصورة إلى شبه جزيرة سيناء. وكان عدد المشاركين فيها يتقلَّص أحيانًا ليبلغ مئات الآلاف، ويتضاعف أحيانًا ليبلغ عدة ملايين. وأصبح ميدان التحرير الذي يقع في قلب القاهرة رمزًا ومركزًا للثورة. شهد الميدان مظاهرات ونقاشات مستمرة، وندوات يُقرأ فيها الشعر، وتُنشد الأغاني، وتقام الصلوات الخمس، وتتلى البيانات الصحفية، ويحتشد مندوبو القنوات، ووسائل الإعلام العالمية. تم نُصبت خيام لإقامة المتظاهرين العازمين

علـــى عدم مغادرة المكان قبل تحقيق النصر، وكان الناس يحضرون الطعام والمياه والملابس إلى المعتصمين.

كان رجال الدين المســـيحيون يشـــاركون في المظاهرات، وتجدهم بلباســـهم الأسود جنبًا إلى جنب مع أئمة المســـلمين من علماء الأزهر، وبعد صدامات عنيفة مع المتظاهرين اختفى رجال الشـــرطة، وكانت هناك دبابات من الجيش، تقف على بوابات الميدان دون تدخل في المظاهرات.

كان المطلب المشـــترك بـــين الجميع هو تخلي الرئيس مبارك عن الســـلطة بعد حكم دام 32 عامًا.

تم نقل الســـلطة إلى المجلس العسكري برئاسة وزير الدفاع **محمد حسين طنطاوي** الذي قام بحل البرلمان المصري، وإلغاء الدســـتور، والإعلان عن إجراء انتخابات جديدة. كما قام بتشكيل لجنة لصياغة الدستور الجديد الذي يتضمن قانون الانتخابات الجديد. تم حل الحزب الحاكم الســـابق (**الحزب الوطني الديمقراطي**)، وتم القبض على الرئيس الســـابق **حســـني مبارك** وأبنائه، وعدد من الوزراء السابقين بتهم التورط في قضايا فساد.

لم تكـــن تلك فقط هـــي النتائج التي تحققت للثورة الســـلمية المصريـــة. كانت النتيجة النفســـية للثورة أهم من النتائج السياســـية المؤقتة. فقد تغلب المصريون على مشاعر الخوف، وأصبحوا يتمتعون بثمار وحلاوة الحرية التي نالوها. اعتقد الثوَّار أنه وبعد فترة طويلة من الحكم السلطوي أنهم استعادوا كرامتهم وقيمتهم الإنسانية.

وأمام قوة المظاهرات والفعاليات الشعبية، شعر القائمون على السُّلطة بالخوف من الغضب الشعبي.

لكن وماذا بعد؟ ما المحدد للنظام السياســـي المصري، وبنيته الاقتصادية، وخريطة التنمية للمجتمع المصري؟ وما هي القوى الفاعلة في البلاد؟ وما الذي يمكن أن تجنيه مصر من هذه التفاعلات او التصادمات؟

بقي الجيش المصري هو القوة الرئيسة التي تحظى بالثقة في البلاد بعد الثورة.

كان الجيش دائمًا –منذ بداية حكم العســـكريين في مصر–كيانًا خاصًّا مكتفيًا، ويقود قطاعات ضخمة من الصناعات العســـكرية التي أصبحت تخدم ســـوق الإنتاج المحلي أيضًا.



obeikandl.com

كمـــا أن كثيراً من المحافظين هم من الضباط القدامـــى. وقد التزم الجيش المصري الحياد أثناء المظاهرات. حيث يتمتع الجيش المصري بشـــعبية واحترام كبيرين بين المواطنين المصرين. والتزم الجيش بشـــعرة دقيقة بين احترام سلطة الحكم القديمة بقيادة الرئيس **مبارك** وبين التعاطف مع الرغبـــة الشـــعبية العارمة، والفعاليات الاحتجاجية. فَهِمَ قـــادة الجيش أنه لا بديل عن إجراء إصلاحات وتحولات.

كان الجيـــش المصري يرتبط بعلاقات وطيدة مع أمريكا، حيث تتلقى مصر مســـاعدات عســـكرية ســـنوية مقدارها 1.3 مليـــار دولار. وتم خلال فترة حكم **مبارك** إعادة تســـليح الجيش بالكامل بالأســـلحة الأمريكية، مع وجود بعض الأســـلحة الســـوفيتية القديمة التي ما زالت تُســـتخدم. وقد صرَّح أحد القادة العسكريين المصريين بأن مصر تحترم جميع الالتزامات والمعاهدات الدولية السابقة بما فيها تلك التى بين مصر وإسرائيل.

أما القوة الثانية التى أصبحت تشـــارك في تشكيل المســـار السياسي المصري فهي جماعة "**الإخوان المسلمين**" التى كانت تُعتبر التنظيم السياسي الأكثر تماسكا وجماهيرية.

تم تأســـيس هـــذه الجماعة في عـــام 1928م، واعتمدت دومًا على الانتشـــار وســـط طبقـــة العامة وغـــير المثقفين، وهي الطبقة التى يســـهل التأثير عليها باســـم الدين. لم يكن بينهـــا وبين المثقفين ودٌّ، ولم تكن تعترف بشـــعارات مثـــل "**الديمقراطية**" أو "**الليبرالية**" أو " **الانتخابات الحرة**" وغيرها. كان هذا التنظيم يدعو إلى العودة إلى "**القيم الإسلامية الحقيقية**" والالتزام بمبادئ الشـــريعة. وقد نجحت في الانتشـــار عبْر شـــبكة من المؤسسات الخيرية مثل المستشفيات، والمدارس، ودور الأيتام، وغيرها.

تواجـــد "**الإخوان**" في المعارضة المصرية منذ الحكـــم الملكي. ففي نهاية الأربعينيات من القرن الماضي اغتال عناصرها رئيس الوزراء المصري، فقامت السلطات المصرية حينها ردًّا على هذه الحادثة بإعدام زعيم "**الإخوان**" **حسن البنا**.

ثم كانـــت هناك فترة قصيرة شـــهدت بعض الود في علاقاتهم بالرئيـــس عبد الناصر، إلا أنهم شـــاركوا في محاولة اغتيال فاشـــلة ضد الرئيس صاحب الشـــعبية الجارفة. تم حظر نشاط الجماعة، واعتقال الناشطين فيها بصحبة الشيوعيين ، والليبراليين الموالين لأمريكا، وغيرهم من المعارضين. وتم إعدام عدد من أعضاء الجماعة.

وبعد وصول الرئيس **الســادات** الى الســلطة في عام 1971م تم إعادة الاعتبار للتنظيم مرة أخرى. إلا أنه كان يخشــى قوتها؛ ولذا فقد قام وخلفه **مبارك** بإبقاء التنظيم ككيان شــبه قانوني.

أصبحت قيادة التنظيم تركز على الأنشــطة القانونية. وأصبحوا يشــاركون كمرشــحين مســتقلين في انتخابات البرلمــان المصري. وفي الانتخابات قبل الأخــيرة في عهد **مبارك** فاز الإخــوان بعدد 88 مقعدًا[1] من مقاعد البرلمان أي حوالي 20 % من إجمالي المقاعد. أما في انتخابات 2010م فقد مورست ضدهم ضغوط كبيرة وعمليات تزوير أدت إلى حرمانهم من الفوز بأي مقعد من المقاعد.

في الأيام الأولى من المظاهرات قررت قيادة تنظيم **الإخوان** عدم المشــاركة إلا أنها سمحت لاحقًا للشــباب بالخروج إلى الشــوارع. كما اتســمت مشــاركة شــباب الجماعة بالتنظيم والانضباط.

كانت مصر تعيش قبيل مظاهرات يناير مرحلة أســلمة كبيرة، وأصبحت الشريعة مصدرًا رئيسًا للتشريع المصري منذ عام 1982م.

شــارك **الإخوان** في المفاوضات مع ممثلي السلطة. كما تم ضم أحد الخبراء القانونيين من **الإخوان** إلى لجنة صياغة الدســتور المصري الجديد. وعلى الرغم من حظر نشــاط **الإخوان** وغيرهــا من الجماعات الدينية داخــل الجيش إلا أنه كان هناك بين الضباط والجنود عدد من المؤيدين والمناصريين لهذه الجماعة.

كانت القوة الأساســية المحركة للمظاهرات هي من الشــباب في أعمار 20–30 عامًا. وينتمي هؤلاء إلى طبقة الشــباب المتعلم والمثقف والمســتنير المعارضين بشــدة للنظام الحاكم حينها والمؤمنين بالمبادئ الديمقراطية الأساســية مثل حرية التعبير في وسائل الإعلام، وحقوق الإنســان والقيم الإنســانية، والانتخابات الحرة. لم يكن هؤلاء من الفقراء في أغلبهم. قاموا بالتواصــل فيما بينهم عبر الإنترنت وعبر وســائل التواصل المختلفــة مثل فيس بوك، وتويتر، ويوتيوب. واستطاعوا الدعوة لثورتهم وتجميع وحشد عشرات الآلاف ثم الملايين من البشر. لم يمثل هؤلاء حزبًا سياســيًّا وتباينت آراؤهم ووجهات نظرهم السياسية حتى إنها كانت تتناقض في بعض الأحيان. لم يقدم هؤلاء أنفسهم كتنظيم موحد.

كما تواصل الشباب في مصر مع أقرانهم واستخدموا معًا تكتيكًا ناجحًا في تنظيم الثورات الشعبية بالاستفادة من التفاصيل والأدوات التقنية.

كما انضم إلى ثورة الشـباب الأحزاب الصغيرة بما فيها الأحـزاب الليبرالية الديمقراطية، ونذكر منها حركة ''**كفاية**'' و**حزب "الغد**'' وحركة ''**6 أبريل**'' الشبابية، وتجمع هؤلاء حول شـخص **محمد البرادعي** الحائز على جائزة نوبل في السلام، والمدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي كانت لديه طموحات سياسية.

وخلال الأشهر القليلة التالية، تغير تشكيل الحكومة أكثر من مرة، ولم تهدأ الأحداث في مصر رغم اشتعال الحرب الأهلية في ليبيا المجاورة. وطالب الكثيرون بإعادة هيكلة أجهزة الأمن بالكامل. وشهدت البلاد صِدامات بين المؤيدين والمعارضين لهذه الإجراءات، وسقط العديد من الضحايا. وفي القاهرة تم حرق مقر جهاز أمن الدولة، وقبله تم حرق المقر الرئيس للحزب الوطني الديمقراطي. وبعد أن تعانق الهلال مع الصليب في ميدان التحرير سـرعان ما قسمت الخلافات المسلمين والمسيحيين، وتعرضت بعض الكنائس للحرق.

تولى المجلس العسكري بقيادة **المشير حسين طنطاوي** السلطة في البلاد، وكان قليل من المصريين يعرفون أن **الفريق سامي عنان** قام بزيارة إلى واشنطن استمرت عدة أيام زار خلالها البنتاجون. لم يكن الشعب يدري بما يجري. إلا أن للثورات منطقها الخاص، ومن بين مكوناتها الأساسية تزايد الطموحات والمطالب.

كان الشـارع يموج بالمظاهـرات والاجتماعات، ونجحت هـذه الفعاليات الجماهيرية في تحقيق عدد من النتائج. وأخذ المجلس العسـكري يتجـاوب يومًا بعد الآخر. تم حل الحزب الوطـني الديمقراطي، ومصادرة جميع أرصدته، وتم إحالـة **مبارك** وعائلته إلى القضاء. كما تم اعتقال عدد من كبار المسـؤولين المتورطين بالفسـاد. كانت الحشود تطالب بالثأر والإعدام لهؤلاء. لم يكن أحد يعرف بما سـيحدث مسـتقبلاً. تم تغيير كل قادة وسائل الإعلام، وكان للصحافة الحرة تأثير قوي على السياسات وتعيين الكوادر.

ولكـن، وكما في كل ثورة كانت الفوضـى والتناقضات هي السـائدة. تظاهر الطلاب مطالبين برفع الدرجـات التي حصلوا عليها في الاختبارات. وتظاهر تلاميذ المدارس مطالبين بتخفيف البرامج الدراسـية. وقام النشطاء على صفحات التواصل بإطلاق نداءات ودعوات للمواطنين باحترام إشارات المرور وعدم تلويث الشوارع أو إلقاء القمامة في الطرق. نتذكر منها: ''**كن متحضرًا ولا تبصق على الأرض. أبصق في سلة النفايات**''.

وردت أخبار تفيد بأن **السلفيين** قد قاموا بتدمير أضرحة الأولياء التى تحظى بقدسية لدى الصوفية. دارت صِدامات بين الطرفين. عاد المئات من أعضاء حركة الجهاد الإسلامي وغيرها من التنظيمات الإرهابية من أفغانستان وباكستان وبلدان أوروبا الغربية. ناصب هؤلاء العداء للرئيس السابق **حسني مبارك**. أصبحت الأخبار عن حالة الاقتصاد المصري مثيرة للقلق. كان الشعب يتوقع تحسنًا سريعًا للوضع الاقتصادي وهو ما لم يحدث. انهارت العوائد من السياحة، وفقد الكثير من عمَّال الفنادق والمرشدين السياحيين والتجار والسائقين وظائفهم. انخفضت الاحتياطيات النقدية إلى بضعة مليارات، وخرجت استثمارات بمليارات الدولارات من البلاد.

وقد تحدث **مؤلِّف الكتاب** مع منظمي الثورة المصرية من الشباب. ليس من المهم ذكر أسمائهم ولم يكن هؤلاء يخفون شخصياتهم، إلا أنهم غير معروفين للشعب الروسي. ولكن ربما اشتهر الشاب **وائل غنيم** بوصفه "**أيقونة**" هذه الثورة. كان مشغولاً في اليوم الذي اتفقنا على اللقاء فيه. بدا هؤلاء الشباب بالنسبة لي مثقفًا، متحررًا، وصادقًا، ووطنيًّا، وثوريًّا. أحدهم فقد إحدى عينيه في ميدان التحرير. أراهم شبابًا أذكياء ولكنهم سذج مبهورون بالشعارات والقِيم الغربية.

حاولت أن أتقرب منهم وعرضت عليهم كتابي "**مصر والمصريون**"[2] وقرأت عليهم المقدمة والخاتمة وأعجبهم ذلك. قلت لهم إني جئتهم لأتعلم منهم لا أن أعلمهم وأن أدرس الوضع في مصر. وبدأ بيننا نقاش صريح تخلله-أحيانًا-جدل حاد.[3]

- متى قررتم أنه قد حانت ساعة الصفر لانطلاق الثورة؟

- لم نخطط لثورة ولم نكن ننوي التخطيط لها حتى بعد نجاح أشقائنا في تونس. قمنا بدعوة الناس إلى الخروج في مظاهرات ضد وزارة الداخلية. كنا نرغب في إفساد الاحتفالات بعيد الشرطة في 25 يناير. واعتقدنا أن عدد المشاركين لن يزيد عن 40 ألف متظاهر فخرج أكثر من 200 ألف، وسقط العديد من الضحايا. ثم أصبح واضحًا أن الشعب لا يريد بقاء مبارك في الحكم. وفي 28 يناير وبعد صلاة الجمعة خرج مليون شخص إلى الشارع بالإضافة إلى عدة ملايين في المحافظات الأخرى. انفجر بركان الغضب، ثم حدث ما هو معلوم للجميع. حاولت الشرطة قمع المتظاهرين، ولما فشلت لاذت بالفرار، ووقف الجيش بجانب الشعب.

- ما أهدافكم؟
- الديمقراطية، وعودة الكرامة الإنسانية، وعودة هيبة مصر، والحرية، والانتخابات الحرة.
- هل تعلمون أن جميع الثورات تؤدي إلى انهيار اقتصادي؟ الناس يؤملون أنفسهم بحدوث تحسن في الوضع الاقتصادي، ولكن هذا لن يحدث.

رد أحدهم قائلاً:

- قام الفسدة بتهريب المليارات إلى الخارج. سنقوم باستعادة تلك الأموال.
- عذرًا. تم تهريب حوالي تريليون دولار من إفريقيا خلال العقود الخمسة الأخيرة، وبشكل غير قانوني. هل تعلمون كم نسبة ما تم استعادته منها – واحد في آلاف من حجم الأموال المنهوبة.

خيَّم الحزن على وجوه الشباب. ثم قال أحدهم:

- ولكن الغرب الديمقراطي في حاجة إلينا وسيساعدنا.

يقع مقر "**الإخوان**" في أحد الأحياء البعيدة عن وسط القاهرة وهو عبارة عن مبنى متواضع بسيط. لا توجد حراسة تقريبًا على المبنى أو أنها في مكان غير مرئي.

أفراد يترددون على المبنى من قيادات التنظيم يرتدون ملابس أوروبية وأربطة عنق. يبدو حديث أحد قادة الجماعة ويدعى **سعد الحسيني** متزنًا وهادئًا. تحدثت معه باللغة العربية، وكان إلى جواري أحد الدبلوماسيين الروس لمساعدتي إن اقتضت الضرورة، وهو حاصل على الدكتوراه من معهد **مندلييف** في موسكو في تخصص الكيمياء. و**سعد الحسيني** هو عضو في البرلمان المصري السابق في الفترة بين 2005 – 2010 م، وكان متحدثًا رسميًّا باسم الحركة في البرلمان. وفي الدورة التالية عملت حكومة **مبارك** على عدم وصول التنظيم إلى البرلمان. اتسم حديثنا بالصراحة والود.

وقد أصدرت محكمة روسيا في التسعينيات حكمها باعتبار تنظيم "**الإخوان المسلمين**" منظمة إرهابية إجرامية؛ ولذا فلم تكن تربطنا بهم أي اتصالات رسمية. وكان الرئيس الروسي **ميدفيديف** قد أعفاني لتوه من منصب الممثل الخاص برئيس الدولة في التواصل مع زعماء الدول الإفريقية. ولذا كان بمقدوري الالتقاء بأي شخصية بصفتي عالمًا وباحثًا حرًّا.[4]



obeikandi.com

- أخـــيراً، وصلتم إلى مقرنا. نحن ''**الإخوان المســـلمون**'' كنا دومًا نتطلع إلى اللقاء مع الروس وإجراء حوار صريح معهم. فهذا في مصلحة روسيا ومصر والعالم كله. نحن نتذكر جيدًا كيف ساعدتم مصر وفلسطين، ونتذكر كيف دعمتم مصر في بناء قواتها المسلحة، وبناء الســـد العالي، وإنشـــاء المصانع العملاقة، وتأهيل الكوادر. لن ننسى ذلك. وبعد انهيار الاتحاد الســـوفيتي عـــانى العالم من فراغ كبير. في الســـابق كان هناك توازن قوى، وكان ذلـــك في مصلحة العالم كله بما فيه الوطـــن العربي. الآن تم الإخلال بهذا التوازن. إن روســـيا دولة عظمى ويجب أن تلعب دورًا كبيراً ومهمًّا في العالم عامة، ومنطقتنا على وجه الخصوص.

- وما هو موقفكم حيال أحداث بعينها؟

- أذكر أنه عندما شـــنت **جورجيا** حربًا على **أوســـيتيا** وكان وزيـــر الدفاع الجورجي يحمل الجنســـية الإسرائيلية؛ دعمنا الموقف الروسي في الحرب ضد **جورجيا**. نحن نرحب بالحوار مع الروس في أي صيغة وإطار ســـواء على المســـتوى الرسمي أو حتى في إطار الجمعيات غير الحكومية، وذلك لصالح بلدينا. نحن نأســـف وبشدة أن تنظيم ''**الإخوان**'' ما زال مدرجًا على قائمة التنظيمات الإرهابية والإجرامية في روسيا. إن مبادئنا الأساسية تتمثل في أن انهيار الأخلاق في العالم الإســـلامي يؤدي إلى موجة من الانتقادات والرفض من قبـــل الآخرين، ويثير موجـــة من التطرف والإرهاب. ونحن نتفهم أســـباب العنف، وقد انتقدنا الأحداث الإرهابية في سبتمبر 2001 في أمريكا. نحن من يكبح جماح الإرهاب في العالم الإســـلامي؛ ولذا فإن بعض الإرهابيـــين يصفوننا بالكفر. باختصار: نحن نريد علاقات أقوى مع روســـيا وننتظر رفع الاتهامات بالإرهاب في حقنا. أنتم تتأخرون ومن يتأخر يفقد المواقع المتميزة.

- هل لعب ''الإخوان'' دوراً في الثورة؟

- إن شـــبابنا شارك في المراسلات على الفيس بوك، وقد سمحنا لهم بالمشاركة في مظاهرات 25 ينايـــر ليس فقـــط في القاهرة بل في عموم البلاد. وخاصـــة في المحلة الكبرى المدينة الصناعية الضخمة. وفي 28 يناير قررنا مشـــاركة جميع أعضاء التنظيم في الثورة بوصفهم جزءًا من الشـــعب ورفع مطالب تتمثـــل في ''**الحرية والعدالة والديمقراطية**'' و''**خلع مبارك**''. كانت تلك شـــعارات الجميع بمـــا فيهم الإخوان. كنا أيضًا نقف ضد العنف



obeikandl.com

حتى ذلك العنف الذي مورس ضد الشـــرطة. ولولا مشاركتنا في الأحداث لسقط الكثير من الضحايا.

- ما هي خططكم لتأسيس حزب خاص بكم؟

- منـــذ فترة قصيرة تم تأســـيس حزب ''**الوســـط**'' وهو من الأحزاب الشـــابة التى تنتمي للإخوان. والآن نقوم على تأســـيس حزب جماهيري باسم ''**الحرية والعدالة**'' والانتهاء من إجراءات التسجيل. وربما سيكون لدينا قناة تلفزيونية وجريدة خاصة. نحن لسنا ضد القانون الذي يحظر تأســـيس الأحزاب على أســـاس ديني. سيكون لدينا حزب علماني. نريد دعم وتنشـــيط الحياة السياســـية في مصر ولا نريد احتكارًا للسلطة. أعتقد أن نسبة 20–30 % من مقاعد البرلمان كافية بالنســـبة لنا. نحن ندرك أن مصر ســـتمر بأوقات صعبة؛ ولذا لا نريد أن نحمل على أكتافنا كامل المســـؤولية. الوضع الاقتصادي يســـوء. وربما تندلع ثورة جياع. ويجب أن نمنع حدوث ذلك عن طريق مكافحة الفســـاد. الجميع يحدوهم الأمل في اســـتعادة الأموال المنهوبة التى تم تحويلها إلى بنوك الغرب، ومن ثم يتم توزيـــع هذه الأموال على الشـــعب. بالطبع هذا غير معقـــول أو واقعي. يجب أن نوفر الظـــروف لتحقيق التنمية الاقتصادية، ونأمل أن تتســـم الانتخابـــات القادمة بالنزاهة. وسوف نقوم بالدفاع عن مبادئنا في البرلمان القادم.

- كيف ترون مستقبل العلاقة مع إسرائيل؟

(استخدم محدثي مصطلح ''**الكيان الصهيوني**'' بشكل دائم بدلاً من ''**إسرائيل**'')

- نحن نحترم معاهدة الســـلام الموقعة مع مصر. إلا أن الكيان الصهيوني هو حالة خاصة. هنـــاك ثلاثة احتمالات: الأول أن تقوم مصر بإلغاء معاهدة الســـلام. والثاني أن تبقي المعاهـــدة كما هي، والثالـــث وهو الرأي الذي ندعمه أن نقترح على الشـــعب المصري مناقشة مضمون المعاهدة بعد الانتخابات. وليدل الجميع بدلوه. ثم ندعو لاستفتاء عام أو تصويت في البرلمان. ســـنقوم بتلبية رغبة أغلبية الشـــعب المصري. إذا ما قرر الشعب تعديل بنود المعاهدة سنقوم بمفاوضات لتحقيق ذلك.

كان كلانا يعرف أن مايقوله محدثي هي رســـائل إلى القيادة في روســـيا، وربما تختلف اللهجة إذا اختلفت الظروف.



obeikandl.com

مرت ستة أشهر تقريبًا ثم التقينا ثانية. سافرت إلى القاهرة قادمًا من المملكة العربية السعودية بعد الأحداث المأساوية التي وقعت بجوار مبنى التليفزيون المصري في 9 أكتوبر 2011م. كانت الرياض تبدو هادئة أما القاهرة فتغلي بالأحداث. احتج الأقباط أمام مبنى التليفزيون ضد هدم إحدى الكنائس في أسوان ووقعت صدامات دامية. قتل حوالي 25 قبطيًّا وعشرة جنود من الجيش. صدم الحادث المصريين بشدة. وتعالى الصراخ على شاشات التليفزيون وعلى صفحات الجرائد والصحف بعدم السماح بحدوث شق في اللحمة الدينية والوطنية في مصر. ورسمت إحدى الصحف صورة لتمثال يصور مصر امرأة تدمع عيناها، فيما يرقد إبناها المسيحي والمسلم مضرَّجين بالدماء.

التقيت مرة أخرى مع **سعد الحسيني** في مدينة الإنتاج الاعلامي في 6 أكتوبر، وكان لقاؤنا في الساعة العاشرة والنصف ليلاً. بدا محدثي مرهقًا مشغولاً، قضى طوال اليوم السابق في لقاءات واجتماعات، لكنه بدا رغم ذلك واثقًا أكثر من اللقاء السابق.

- لقد قمنا بتأسيس اتحاد "**التحالف الديمقراطي من أجل مصر**" برئاسة حزب **الحرية والعدالة**. ويضم أربعين حزبًا وجمعية، ونحن نضمن الفوز في الانتخابات القادمة.
- وهل سيسمح لكم الجيش بذلك؟
- مهمة الجيش الدفاع عن الوطن وعدم التدخل في السياسة. يجب عليهم العودة إلى ثكناتهم ولن نسمح لهم بإلغاء أو تأجيل الانتخابات البرلمانية.

التقيت أيضًا مع **السيد عماد جاد**، أحد المحللين السياسيين والصحفي المنتمي إلى المعسكر الآخر. وكان اللقاء في مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. وقد ظلت مؤسسة "**الأهرام**" منذ عصر **محمد حسنين هيكل** الصديق المقرب من **عبد الناصر** قلعة للمثقفين المصريين الذين حصلوا على تعليم عال في دول الغرب. و**السيد عماد جاد** نفسه هو قبطي ديمقراطي ليبرالي وممثل غير رسمي لتحالف "**الكتلة المصرية**" الذي ضم الليبراليين والأحزاب العلمانية واليسارية. وانضم لهم ممثلو قطاع السياحة الذين تخوفوا على مستقبلهم وكذا الإسلاميون المعتدلون والتيارات الصوفية المعارضين للسلفيين. كما انضم إليهم نشطاء الشباب على الإنترنت.

كان محدثي معارضًا للإخوان المسلمين، وكان يأمل في نجاح تكتل الأحزاب الليبرالية في

الانتخابات. إلا أنه قال لي بنبرة حزينة مودعًا:

- تحتاج مصر إلى خمسة عقود حتى تقوم فيها ديمقراطية حقيقية.

قلت في نفسي: نعم إنه على حق، لكن ذلك يبقى شأن المصريين أنفسهم. يجب عليهم أن يخوضوا تجربة حكم الإسلاميين.

وجمعني لقاء آخر مع زعيم حزب التجمع **رفعت السعيد**. وهو شيوعي سابق قضى خمسة عشر عامًا في السجون والمعتقلات، وكان يعول في فترة ما على تحول مصر إلى التعاون والشراكة مع الاتحاد السوفيتي، وظل يعتبر محللاً لامعًا وإن كان شديد التشاؤم.

- تشهد مصر حاليًّا تنامي نفوذ الجماعات السلفية وخاصة بين السكان الأميين. حيث يتلقون دعمًا خارجيًّا سخيًّا من الخليج. ولا يمكن توقع نجاح الأحزاب الليبرالية والمثقفين خارج القاهرة والإسكندرية. حتى في العاصمة يمثلون أقلية. فمصر تعاني من غياب التقاليد العلمانية والديمقراطية. مصر ليست تركيا. حتى الجيش مخترق بمشاعر موالية للإسلاميين.

- ولكن الجيش يوفر الأمن.

- الأمن ضروري لكي تستمر الدولة في آداء وظائفها. أما الآن وفي ظروف انهيار المؤسسات فلا يوجد أمن وخاصة خارج القاهرة.

## الأسباب والقوى المحركة والعواقب

لقد غير تسونامي الثورات في شمال إفريقيا والشرق الأوسط من الواقع الجيوسياسي في المنطقة. ليس ذلك فحسب بل وكان له تأثير كبير على الوضع الدولي بشكل عام. ولا يتعلق الأمر هنا بانتقال التوتر إلى البلدان العربية التي تقع على الجانب الشرقي من السويس. فلقد امتد التأثير إلى دول جنوب الصحراء ودول الحزام الشمالي في الشرق الأوسط والأدنى وحتى أوروبا. ولدراسة أسباب وسمات الثورات والقوى المحركة لها والتأثير الخارجي والأساليب والنتائج يتطلب الأمر مقاربة جادة وموضوعية لوضع تصور حول مستقبل تطور الأحداث التاريخية ليس فقط في الشرق الأوسط والأدنى بل وفي غيرها من البلدان النامية.



obeikandi.com

لقــد أثرت الاحتجاجــات والثورات في العالم العربي على أســواق الطاقة العالمية، حيث ارتفعت أســعار النفط. بالطبع كان التأثير الأكبر للوضع في الســعودية وإيران كونهما أكبر مصدري الطاقة في المنطقة، وكان البلدان ينعمان بالاستقرار. الا أن الثورات العربية وقعت في اللحظة التى اندلعت فيها ثورة أخري وهي ''**ثورة النفط الصخري**'' حينما حققت الولايات المتحــدة الأمريكية وكندا حجم إنتاج ضخــم للنفط والغاز من الرمال الصخرية. وأدى ذلك إلى انهيار في أسعار الطاقة، وأصبحت أمريكا لا تعتمد على الاستيراد من الشرق الأوسط.

وقد وضعت السياســة الخارجية الأمريكية والروســية والصينية وحلف الناتو على جدول أعمالها وضع صياغة لإستراتيجية في التعامل مع الأحداث الثورية في المنطقة. وقد تغير بشكل كبير الوضع الجيوإستراتيجي لإسرائيل وموقفها حيال التسوية الشرق أوسطية.

وأمنح الفرصة للحديث عن هذا الموضوع إلى شخص عاش سنوات طويلة معايشًا لتطور العلاقات بين روســيا والدول العربية وإسرئيل وهو السيد **ميخائيل ليونيدوفيتش بوجدانوف** نائب وزير الخارجية الروسي.[5]

**المؤلِّف**: كيف تمت صياغة إستراتيجيتنا في التعامل مع الربيع العربي؟

**ميخائيــل بوجدانوف**: بالطبع تابعنا باهتمام التطــورات الحادثة في العالم العربي. وفيما يتعلق بالسياســة الروســية، فإنه لا توجد إجابة قاطعة على ســؤالكم. فموقفنا الرسمي كان يهدف إلى عدم التدخل في الشــؤون الداخلية للدول ذات السيادة. لم نمنح أهمية كبيرة لقوى المعارضة؛ لأن منطلقنا يتمثل في أن حجم المشــكلات الاجتماعية والسياســية والاقتصادية المتراكمــة كبير، وكثير من الرؤســاء العــرب مكثوا في مناصبهم ســنوات طويلة. كانت كل الأسباب مهيأة لحدوث انفجار في الوضع. كان بعض ممثلي اليسار يقولون إنه من الضروري دراســة كتب **ماركس ولينين** حيث الوصف الدقيق للموقف الثوري عندما لا يستطيع النخبة مواصلة الحكم ولا يرغب العامة في مواصلة الأمور كما هي عليها. تراكمت أسباب الانفجار وفي لحظة ما تندلع الثورة والانفجار ويؤدي إلى تغيير النظام الاجتماعي بالكامل. وفي وضعنا الحــالي لم يطرأ تغيير على النظام الاجتماعــي. أقصد الأحداث التى وقعت في الجمهوريات. فالبعــض قال: انظروا إلى الممالك كيف هي متماســكة أكثر أما الجمهوريات فتنهار. وعلى الرغــم من أننا لو عُدنا إلى الوراء قليلاً ســنجد أن مصــر كانت تعيش تحت الحكم الملكي،

وكذلك ليبيا والعراق ثم تحولت إلى جمهوريات. إذا الأمر كله نسبي، ويجب النظر إلى الآفاق القريبة والبعيدة.

وأود الإشارة أيضًا إلى أن تعاملنا الرسمي مع الموقف كان على النحو التالي: من حيث المبدأ نحن لا نتدخل في الشؤون الداخلية للدول، وقلنا دومًا إن الشعوب هي من يجب أن تحدد مصائرها وأننا نتفهم طموحات وآمال الشعوب العربية في تحقيق مستقبل أفضل ونشر الديمقراطية والحريات. كان موقفنا يتمحور حول فكرة عدم التدخل، وأن هذا هو خيار الشعوب وقرارها.

**المؤلِّف**: هل قمنا بمناقشات مع العرب حول الأحداث؟

**ميخائيل بوجدانوف**: كنا دائمًا نحذر العرب أنه من الخطر الخروج عن الآليات الدستورية. كنا دائمًا ندعم احترام الدستور وأن تخلع الشعوب أنظمتها وتختار أخرى عبر الانتخابات. وعندما يتجمع عدد غفير من الناس في ميدان التحرير أو في شارع من شوارع العاصمة التونسية أو في سوريا ثم يقولون لنا إن هذا هو صوت الشعب، فإن كثيراً من الشكوك يمكن أن تراودنا لأن خروج بعض المظاهرات في بضع مدن ليس معبراً عن طموحات شعب بأكمله. كما أننا ننطلق دومًا من فكرة أن الشاغل الأساسي لا يجب أن يكون خلع نظام ما بل القضية الرئيسة يجب أن تتمحور حول ماهية النظام القادم. لأنه ربما يكون أفضل من الحالي أو ربما أسوأ منه؛ ولذا يتوجب علينا حساب الموقف مستقبلاً.

لننظر على سبيل المثال إلى ثورة عام 1979م في إيران. كان الشاه يحكم، ولما استشرى الفساد وزادت الانتقادات حتى من قبل جميع القوى اليسارية والإسلامية والليبرالية. كانوا جميعًا غاضبون من النظام. وحدت المشاعر المعادية للشاه الجميع. وما أن اندلعت الثورة حتى اشتعل الصراع على السلطة بين قوى مختلفة تتبنى برامج اجتماعية واقتصادية متباينة. وبعد أن هرب الشاه بدأت الثورة الحقيقية، وتجربة القوة في ظروف جديدة. وفي مصر وتونس ذهب النظام السابق وبدا الصراع بين الإسلاميين واليساريين واليمينيين والليبراليين. ولعب الجيش دوراً مميزاً. فهل بمقدور الجيش أن يضمن استقراراً للوضع؟ هل سيرغب في استقرار الوضع أم سيبتعد عن المشهد؟ تلك نقطة مهمة للغاية.

**المؤلِّف**: بالطبع كان لكل بلد خصوصيته. لكن القضية أوسع من ذلك.

**ميخائيل بوجدانوف**: بالطبع. إذا خرج الشعب إلى الشارع يجب أن تنصت إلى



obeikandi.com

مطالبه وآماله. ولكن هنا سـؤال يطرح نفسه: وما جدوى الدستور؟ وما فائدة الاستفتاءات والانتخابات والانتظار 3–4 سنوات طالما بمقدور المتظاهرين في أية لحظة الخروج إلى الشارع والهتاف: "**الشـعب يريد إسـقاط النظام**" ثم لا يغادرون أماكنهم حتى يحققوا هذا الهدف. أنا هنا لا أتحدث عن تأثير وسائل الإعلام وغيرها على الشعب. وهذا الكلام ينسحب على جميع الثورات الملونة.

لقد اجتاحت الثورات بلدان المنطقة ليس لكونها الشعوب الأكثر فقرًا في العالم، فالبيوت الطينيـة في القاهرة تعلوها الأطباق التى تلتقط القنـوات الفضائية، وتتمتع بخدمات الكهرباء والميـاه، وجميع الأطفال في هذه الأحياء يتعلمـون في المدارس. والموقف في تونس أفضل من ذلك ناهيك عن ليبيا. حتى اليمن لم يكن الوضع كارثيًّا.

خرج الناس إلى الشـوارع ليس لأنهم يعانون الجوع. في المتوسـط يحصل المواطن المصري على متوسط عدد سعرات يومية من الغذاء أكثر من المعدل المتوسط في العالم، وذلك بفضل الدعم الحكومي على الخبز والزيت والسكر، وإن تراجع عن المعدل الأوروبي في نسبة الفاكهة واللحوم والخضروات والحليب في قائمة الطعام.

وخلال 30–20 عامًا الأخيرة ارتفع المتوسـط العمري للسكان في جميع البلدان العربية تقريبًا، وهو ما يعكس تحسن الخدمات الصحية والحالة المادية للسكان.

كما لا يرجع السبب إلى الكساد الاقتصادي. بل على العكس بلغ متوسط النمو السنوي في الناتج المحلي الإجمالي في مصر 5–7 % خلال العقد الماضي (4 % في عام الأزمة العالمية 2009م) وهو أعلى من المتوسط العالمي وإن كان أقل من الحالة في الهند والصين. كما وصل نصيب الفرد السنوي من الناتج المحلي إلى 6000 دولار وهو معدل ليس سيئًا.[6]

كما لا يكمن السـبب في سيطرة أنظمة قمعية سلطوية في البلدان العربية. فهناك أنظمة أكثر سـوءًا في العالم. ففـي مصر وتونس كانت هناك معارضـة وصحافة وكان هناك نظام قضائـي متقدم. ولا ننكـر وجود حالات الأحكام الاسـتبدادية والاعتقـال والتعذيب في السجون والمعتقلات.

(وفقًا للمعايير العالمية كان النظام في ليبيا أكثر قسوة. ولكن هذا لا يعد الا جانبًا واحدًا في المشهد فقد منح هذا النظام اهتمامًا كبيراً لحل المشكلات الاجتماعية للمواطنين).

كما أن السبب ليس في انتشار الفساد وفي إدراج مصر وليبيا وتونس وغيرها من البلدان في قوائم الفساد العالمية. بالفعل كان الفساد مستشريًّا إلا أنه يجب القول إن البلدان العربية كانت تحتل مراتب متوسطة في القائمة وليس في المقدمة.

وبلا شك فإن ما زاد التوتر الاجتماعي ارتفاع أسعار المنتجات الغذائية عالميًّا. وجاء ذلك نتيجة للظروف المناخية السيئة في بعض البلدان الكبرى المنتجة للحبوب والغذاء فضلاً عن البدء في استخدام الحاصلات الزراعية في توليد الوقود الحيوي وارتفاع الطلب على المنتجات الغذائية عالية الجودة في أكبر بلدين ناميين في العالم وهما الهند والصين. إلا أن أمرًا كارثيًّا لم يحدث رغم ذلك.

وتجمعت عدة عوامل متمثلة في ازدياد الفوارق الكبيرة بين الأغنياء والفقراء وقمع الأنظمة الحاكمة لشعوبها والبطالة والفساد لتتحول إلى موجة غضب وانتقاد يمكن أن تودي بالمنطقة إلى حالة من عدم الاستقرار بل والانفجار التام. إذًا ما السبب في وقوع ثورات عام 2011م؟

هناك عامل أساسي في هذه الأزمة يتمثل في الانفجار السكاني. فمنذ 20–30 عامًا مضت وبفضل تحسن الخدمات الطبية وارتفاع مستوى الطبقات الاجتماعية انخفض معدل الوفيات بين الأطفال. إلا أن معدل خصوبة النساء في البلدان العربية بقي كما هو في السابق. كان هناك انخفاض في معدل المواليد، ولكنه كان أقل من نظيره في عدد الوفيات. ومع نهاية العقد الأول من القرن الحالي بلغت نسبة الشباب العرب (20–15 سنة) 40–50 % من تعداد السكان بما فيهم الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 20–29 وهم الأكثر مطالبة وتعجلاً وحسمًا. التهم النمو السكاني الزيادات التى تحققت في معدل نصيب الفرد.[7]

ويشير الباحث الأمريكي **جورج جولدستون** إلى أن: ''النمو السريع في أعداد الشباب يمكن أن يقضي على التحالفات السياسية القائمة ويحدث حالة من عدم الاستقرار. وأن هناك أفكارًا جديدة، ومنها الدينية، أصبحت تسيطر على عقول الشباب وتمثل تحديًّا أمام النماذج القديمة في الحكم. ولأن معظم الشباب لا يتحملون مسؤوليات كبيرة تجاه أسرهم أو وظائفهم فإنه من السهل تعبئتهم واستمالتهم للمشاركة في الصراعات الاجتماعية والسياسية. وقد لعب الشباب دورًا مهمًّا في العنف السياسي على امتداد التاريخ المكتوب. ومعظم الثورات التى وقعت في القرن العشرين في البلدان النامية كانت من صنع جيل الشباب''[8]



obeikandl.com

ونشير هنا إلى أن دور النشطاء الشباب قد برز بشكل ملحوظ في السبعينيات والثمانينيات في أمريكا اللاتينية، وهو ما تزامن مع ذروة الأزمات والقلائل السياسية والاجتماعية. وفي معظم البلدان العربية شاعت الاحتجاجات والمظاهرات في الفترة بين 2009-2012م

وقد تطلب الارتفاع المستمر في أعداد الشباب توفير المزيد من فرص العمل لهم وهو ما مثَّل معضلة كبيرة أمام الحكومات في المنطقة. وأصبح انتشار البطالة بين الشباب عاملاً قويًّا على عدم الاستقرار وأصبح سببًا في انضمام الكثير من الشباب إلى الاحتجاجات السياسية والمشاركة في الثورات.

وخلافاً للسابق أصبح أغلب هؤلاء الشباب من المتعلمين أو أنصاف المتعلمين. كان هناك انخفاض في مستوى التعليم وفي نفس الوقت ارتفاع في عدد الخريجين من الجامعات والمعاهد العليا. وكان لهؤلاء طموحات كبيرة على المستوى الاجتماعي. كانت القنوات الناطقة بالعربية "**الجزيرة**" و"**العربية**" والتى تقدم القيم الغربية في قالب عربي وتعمل وفق المعايير الغربية تسعى إلى تقديم رؤيتها لما يحدث في العالم. لم تكن هناك فرص عمل. وكانت الرواتب هزيلة أو قل معدومة. لم يكن بمقدور الشباب تحمل نفقات الزواج. كان الشباب مؤهلاً نفسيًّا للانفجار احتجاجًا على الأوضاع في العالم العربي.

ويقول مؤلِّف كتاب "**الثورات وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط**": "إن عامل الارتفاع النسبي في مستوى التعليم للجيل الذي قام بالثورات العربية يعد من الأشياء التى تركت أثرًا كبيراً على أحداث الربيع العربي. فنصف الشباب العاطل في مصر ينتمي الى فئة الشباب بين 20-24 عامًا، وكثيرون منهم حاصلون على تعليم عال. وربما كان هذا هو السبب في عدم تحول الاحتجاجات إلى صدامات دامية. حيث لم يتخط عدد القتلى في مصر بضع مئات".[9]

حتى التطور الاقتصادي المتسارع والذي تحقق في بعض البلدان لم يضمن الاستقرار حيث اصطدم بانهيار النظم الاجتماعية السابقة والصدام بين الطرق التقليدية وغير التقليدية في التفكير والسلوك والقيم والتى ترد غالبًا من الغرب. كانت الطبقة الوسطى الآخذة في النمو والبرجوازية الوطنية غير راضية بالنهج البيروقراطي السائد. كانت معدلات النمو البسيطة في الناتج المحلي الإجمالي لا تضمن تحقيق استقرار اجتماعي، وكان الاقتصاد في حاجة للتكنولوجيا المتطورة التى تتطلب بدورها مستوى أعلى من المهارات وعدداً أقل من الأيدي



obeikandl.com

العاملة.

أضـــف إلى ذلك عمليات الهجرة من القرى حيث نســـب المواليد المرتفعة إلى المدن. وقد أدى ارتفاع إنتاجية العامل في الزراعة إلى طرد المزيد من الشباب الباحث عن العمل من الريف إلى المدينة. ويحدث التوتر عادة في المدن الكبرى حيث ترتفع نسب البطالة وتسود حالة عدم الرضا، ويصبح الوضع هشًّا تمامًا.

وتقـــول القاعدة التاريخيـــة: إن الأنظمة دائمًا ما تتأخر في التأقلـــم مع التغيرات في البنى الاقتصادية والاجتماعية.

## لكل بلد خصوصيته

إذا نظرنا إلى واقع البلدان العربية التى اجتاحتها الثورات والقلاقل، فإننا سنكتشف في كل منها سمات خاصة بها. حيث اتســـمت الحالة التونســـية بالهدوء أكثر من غيرها. وانخفضت حدة التوتر السياســـي بعد عدة أشـــهر من اندلا ع الثورة. قامت قيـــادات "**الاتحاد العام للعمال التونســـيين**" بالموافقة على إيقاف ســـريان عدد من مواد الدستور وإجراء انتخابات برلمانية. وكان ذلك مرضيًّا لهم. عاد الإســـلاميون من المهجر وشـــرعوا في الانخراط بنشاط في الحياة السياسية.

وبدعم من القوات المســـلحة نجحت قوات الشـــرطة في إلقاء القبـــض على الهاربين من السجون ومصادرة الأسلحة والذخائر من السكان.

كان الإســـلاميون أكثر الرابحين من الثورة وخلال الفترة القصيرة التى تلتها. كانت لديهم قاعدة واسعة من الجماهير. واستطاعوا تحقيق الفوز في الانتخابات التى جرت يوم 23 أكتوبر 2011م والتى وصفت بالحرة. وقام تكتل بزعامة حزب "**النهضة**" وحزبين آخرين بتشكيل الحكومة.[10] إلا أن الحكومة لم تســـتطع التغلب على المشـــكلات الاجتماعية. فقد ارتفعت أســـعار المنتجات الغذائية ولم ينخفض معدل البطالة. ســـعى عشـــرات الآلاف من الشباب التونسي للهروب إلى أوروبا التى أغلقت حدودها أمامهم. ولجأ المتطرفون إلى الإرهاب.

لم يستطع الإسلاميون حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية إلا أنهم بدأوا في تطبيق بعض تعاليم الشريعة الإسلامية وإدراجها في النظام القضائي التونسي، وأسرعوا من وتيرة أسلمة المجتمع والتضييق على الحريات المدنية.

ظهرت الصراعات بين الإسلاميين والعلمانيين داخل حركة النهضة نفسها وداخل القوى العلمانية. قرر حزب "**النهضة**" بذكاء عدم الاستيلاء على السلطة كاملة؛ ولذا فقد حافظ على حظوظه في النجاح مستقبلاً. وفي يناير 2014م تم تشكيل حكومة تكنوقراط كانت نتاجًا للحل الوسط الذي توصل إليه الإسلاميون والمعارضة العلمانية ومن ثم تم تشكيل تحالف حكومي.

أما مصر فحالة خاصة. فقد نشأت الفجوة بين الغنى والفقر في هذا البلد منذ خمسة آلاف عام. غير أن المصريين المعاصرين كانوا يعرفون الوسائل التى تجعل الإنسان ثريًّا. كان السبيل إلى ذلك إما بيع أملاك الدولة أو الحصول على أراض شبه مجانية من الحكومة لتطويرها مستقبلاً أو القروض الحسنة من البنوك الحكومية أو ظهور شركات مساهمة مع مؤسسات أجنبية.

وكان هناك أكثر 40 % من السكان في مصر يعيشون على أقل من دولارين يوميًّا[11] عذاؤهم اليومي الخبز والفول. أما النخبة فكانت تمتلك الفيلات والقصور التي تحتوي على ملاعب للجولف وبها كامل الخدمات التى لا يحصل عليها في الغرب إلا الطبقات العليا في المجتمع. كما تم تشييد قصور على شاطئ النيل والبحر الأحمر والبحر المتوسط. وكانت مصر في حاجة إلى توفير 700 ألف فرصة عمل سنويًّا لاستيعاب الطلب. إلا أن معظم هؤلاء لم يحصلوا على هذه الفرصة.

تحسن الوضع الاقتصادي للشعب ولكن بوتيرة بطيئة تمامًا.

كان الفساد يضرب بالبلاد طولاً وعرضًا. وكانت الرشاوى قد وصلت إلى مبالغ ضخمة بالملايين وعشرات الملايين من الجنيهات. حقق رجال الأعمال والموظفون أموالا طائلة من الهواء. وهكذا تم هدر أموال الدولة، حيث استولى عليها القطط السمان والموظفون.

كانت أي محاولة للاحتجاج تواجه بالقمع. ظل النظام لأكثر من 30 عامًا يفرض حالة الطوارئ. أصبحت وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي تنشر مشاهد الاعتقال

والتعذيب. كما أدى تزييف الانتخابات البرلمانية إلى زيادة كراهية الشعب للسلطة. لم تتحول المنظمات الليبرالية الوليدة في مصر إلى أحزاب جماهيرية. إلا أنها بقيت مؤثرة على وعي الشباب المتعلم.

وانطلاقًا من هذه العوامل جميعها أصبح من المهم الأخذ في الاعتبار الحالة النفسية السيئة التي كانت عليها قطاعات كبيرة من السكان المتعلمين في مصر.

كيف تقبل المصريون الوضع؟ أصبح الحال غير مقبول ولا يمكن تحمل المزيد على الرغم من أن المصريين ظلوا لعقود يؤمنون بحكمة تقول "**الصبر طيب**". اصبر على الإهانة واصبر على البطالة واصبر على الفجوة بين الأغنياء والفقراء واصبر على الظلم وفساد القضاء والموظفين ورجال الشرطة. اصبر على استحالة أن تحقق مواهبك وقدراتك. لا تحتج. فهناك عالم آخر بعد الموت ستجازى فيه على صبرك في الدنيا.

ارتفع عدد المتعلمين وكانت القنوات الفضائية تعرض على المصريين حياة الشعوب الأخرى الجميلة والحرة وحيث الكرامة الإنسانية. أصبح الملايين من المصريين يحملون الهواتف النقالة ويستخدمون الإنترنت. كان الناس في مصر يتحسرون وهم يشاهدون على التلفاز وفي الإنترنت كيف تقدمت عليهم شعوب ليست من أوروبا وليست بيضاء بل في اليابان وكوريا والصين. وكانت أموال النفط والغاز العربي تذهب بعيدًا.

كيف ذلك؟ نحن الحضارة الأقدم على الأرض. نحن أم الدنيا. لدينا الإسلام أفضل ديانات الدنيا، ولغتنا – العربية هي لغة القرآن.

واندلعت من الأعماق صرخة واحدة تقول "**كفاية**" ظلت مكتومة إلى أن ظهرت للعيان. خرج الناس إلى الشوارع والميادين. وأدى سقوط ضحايا على يد رجال الشرطة إلى مضاعفة الغضب الشعبي فهتف الجميع في صوت واحد: "**ارحل**". وأصبح هذا الهتاف الموجه إلى الرئيس **مبارك** يتردد على لسان الجميع.

هل انتهت الثورة هنا أو أنها بدت كذلك؟

**ميخائيل بوجدانوف**:[12] كانت سياستنا حذرة تمامًا. لم نكن نرغب في إغضاب أحد. ولم يكن ذلك هو نهج وزارة الخارجية وحدها. كانت المعلومات والتحليلات الواردة من مصادر عديدة. كنا نأخذ في الاعتبار تقييم شركائنا الغربيين والعرب. لاسيما وأن القوى السياسية والاجتماعية المعارضة في مصر كانت ذات توجهات مختلفة.



obeikandl.com

**المؤلِّف**: هل قمتم بالتواصل مع السلطات؟

**ميخائيل بوجدانوف**: نعم. طوال الوقت. وقبيل رحيل **مبارك** طار وفد روسي إلى القاهرة برئاسة أ. **سلطانوف**. كان حينها يشغل منصب الممثل الخاص للرئيس الروسي لشؤون الشرق الأوسط ونائبًا لوزير الخارجية. ورافقه 4 جنرالات من إدارات مختلفة. وكان الهدف هو فهم الوضع والآفاق المحتملة ومن سيتولى السلطة في مصر. وفي التاسع من فبراير اتفقت على قيام الوفد بزيارة للرئيس. ولكن **مبارك** وافق على استقبال **سلطانوف** وحده وقال إنه ينوى البقاء في الحكم. ثم تحدثت أنا و**سلطانوف** أثناء وجودنا بالقصر مع السيد **عمر سليمان** المدير السابق للمخابرات العامة المصرية الذي عينه مبارك نائبًا له ومع السيد **أحمد أبو الغيط** وزير الخارجية. قال **سليمان**: ''يجب الحفاظ على السيطرة على البلاد. فالإخوان هم من يقف وراء ما يدور في ميدان التحرير. أما باقي القوى.... لقد تحدثت معهم بأمر من الرئيس. حضر حوالي 30 شخصًا من الطلاب والإخوان واليسار والليبراليين ولكل منهم وجهة نظر سياسية مختلفة عن الآخر. لم أستطع فهم ما يريدون. مطالبهم متضاربة وكانوا يتجادلون أمامي. وفي النهاية اتفقوا على رغبة واحدة أن يستقيل الرئيس **مبارك**''

**المؤلِّف**: أي أنه لم يكن هناك قرار نهائي حتى التاسع من فبراير؟

**ميخائيل بوجدانوف**: من الواضح أنه لم يكن هناك قرار بعد. طار الوفد الروسي إلى دمشق. بدا الأمر وكأن الوضع معلق. فقبل وقت التقيت مع **محمد البرادعي** لكي أستمع إلى تقييمه الشخصي للوضع. كان **سيرجي لافروف** قد كلفني بنقل رؤيته للأطراف بعدم السماح بتطور الأحداث وتصاعد العنف للدرجة التى يصعب السيطرة معها على الوضع. وصلت إلى فيلته المتواضعة على طريق مصر الإسكندرية الصحراوي. وصلت في سيارة لا تحمل العلم لأنها كانت زيارة خاصة. اعتقدت أنه سيكون بانتظاري في منزل زعيم الثورة الكثير من الحرس والمساعدين ومقر لقيادة الثورة. لكنه كان وحده بالمنزل. شربنا الشاي ثم القهوة. تحدثنا حوالي 40 دقيقة. لم نتحدث في شيء محدد. وتخلل اللقاء اتصال هاتفي كل 10–15 دقيقة وكان يخرج ليتحدث في الغرفة المجاورة. كان يتحدث **بالإنجليزية**: ''نعم يا **ماجي**. (سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة) السفير الروسي عندي''. شرح لها شيئًا وتلقى توصيات حول كيفية إدارة الحوار معي.

وهكذا: طار الوفد الروسي يوم 9 فبراير. وبعد يومين تم الإعلان عن استقالة مبارك ونقل السلطة إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة. غادر الرئيس الحكم طواعية ولم يهرب خلافاً للرئيس التونسي **بن علي**. بقي مبارك في مصر وتم اعتقاله. فعل ذلك رغم أن المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة عرضتا عليه اللجوء السياسي.

وأعلن المجلس العسكري عن إجراء انتخابات برلمانية.

وبصرف النظر عن نتيجة الانتخابات فقد سعت قيادة الجيش إلى تحمل مسؤولياتها في البقاء ضمانة لاستقرار إدارة البلاد ولم يكن هناك نية لإحداث تحولات جذرية في نظام الدولة. إلا أنه كان من الخطورة تحمل كامل المسؤولية وخاصة في ظل تنامي المشكلات الاقتصادية وزيادة معدلات الجريمة ومطالب الدول الغربية بالإصلاحات ونشر الديمقراطية. كانت المخاوف من انتشار الفوضى الاقتصادية وانهيار الأمن والتوترات الاجتماعية والخلافات الطائفية حقيقية ومبررة.

كان الضغط الشعبي يزداد والناس في حاجة للحصول على مكاسب مادية سريعة من الثورة في حين كانت القدرات المالية للبلاد لا تسمح بذلك.

تقلصت الدخول الفعلية للمواطنين. وساعد الدعم المقدم على الخبز والسكر والزيت في إبقاء الاستقرار الاجتماعي الهش.

أعادت الثورة للمصريين الكرامة الإنسانية والحرية. وماذا عن الإنجازات الاجتماعية؟ لم يتحقق منها شيء ولم يكن هناك في الأفق ما يدل على تحققها.

ففي ظل انتشار الفوضى والمصاعب الاقتصادية والآمال المعلقة، استشعرت الجماهير قوتها، فيما لم تستطع الإصلاحات تحقيق الأهداف المرجوة. وشعر المجتمع بالشوق إلى اليد الحازمة والزعيم القوي لتحقيق الاستقرار.

إلا أنه لم يكن هناك زعيم وطني واحد يجمع عليه الجميع. وكان الإسلاميون يواصلون دعم نفوذهم.

وفي انتخابات نوفمبر 2011 – يناير 2012م حقق حزب "**الحرية والعدالة**" (**الإخوان المسلمون**) وحلفاؤهم 47 % من مقاعد البرلمان أي النصف تقريباً، فيما حصل



obeikandl.com

السـلفيون ''**حزب النور**'' وحلفاؤهم على 24 % أما حـزب ''**الوفد الجديد**'' فكانت نسبته 9 % من المقاعد. وحصلت ''**الكتلة المصرية**'' على 7 %. ولم يحصل ممثلو شباب الإنترنت على أي مقعد في مجلس النواب.[13]

كان ذلـك هو واقع الأمر. وفي يونيو 2013م أعلنت المحكمة الدسـتورية عدم قانونية نتائج انتخابات البرلمان وتم حل البرلمان.

وفي الانتخابـات الرئاسـية التي جـرت في يونيو 2012م فاز ممثـل جماعة ''**الإخوان المسـلمين**'' **محمد مرسي**. وربما كان السبب الأساسي في فوزه امتناع الكثير من المصريين عن التصويت لمنافسه **أحمد شفيق** رئيس الوزراء الأسبق في عهد **مبارك**. وربما فضل الإخوان البقاء في المعارضة وإبقاء المسؤولية على الآخرين ولكن شهوة السلطة سيطرت عليهم لا سيما وأن الوصول إليها كان يسيراً.

لم يكن لدى **الإخوان المسلمين** خبرة في إدارة الدولة وارتكبوا الفشل تلو الآخر. وأخذوا يفرضون تعاليم الشريعة الإسلامية دون وسطية واستبدلوا جميع قيادات وسائل الإعلام الذين بدأوا لتوهم ينعمون بطعم الحرية. كما قاموا بتعيين محافظي الأقاليم من أعضاء الجماعة ومنهم أعضاء سابقون في منظمات إرهابية.

وأصاب الجمود آمال الشعب وتراجع مستوى المعيشة وبدت أحلام العامة بعيدة. كانت التطلعات بعد 25 يناير مباشرة تكبر يومًا بعد يوم فيما يتضاءل يوميًّا الأمل في تحقيقها.

''وكان لابد من الفراق المحتوم بين الديمقراطية والثورة. وهو ما حدث بالفعل'' [14]

وعجز **الإخوان المسـلمون** بعد وصولهم إلى السـلطة عن حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ولم ينجحوا في دعم وتوسيع القاعدة الاجتماعية المؤيدة لهم داخل مصر. ودوليًّا نال هؤلاء دعمًا من الولايات المتحدة الأمريكية غير أنهم سـرعان ما اكتسـبوا عداوة بلدان الخليـج، حيث بدأت خلايا الإخوان في هذه البلدان تثير القلاقل وتدعو إلى تغيير الأنظمة. توحـدت النخبة المصرية والتحم الجيش والشـعب للتخلص من الإخـوان. زادت الفعاليات والتظاهـرات المعارضـة للإخوان نتيجة لفشـل الإخوان في تحقيق آمـال المصريين في تحقيق نجاحات اجتماعية واقتصادية.

وأدت التوترات المتصاعدة إلى تقدم الجيش لتلبية إرادة الشعب المصري وتم تنحية **محمد مرسي** عن السلطة في 3 يوليو 2013م والقبض عليه.[15] وعلى عدد من قادة الجماعة.

ودب الشقاق بين المعارضة حيث تحول الإخوان إلى المعارضة فيما دعم حزب ''**النور**'' الحكومة.[16] كما دب الشقاق بين القوى العلمانية بما فيها الليبراليون واليسار. بدا هؤلاء في حالة خوف شديد من السَّنة التي قضاها الإخوان في السلطة ودعموا جميعًا تدخل الجيش.[17]

امتدت موجة الثورات العربية إلى ليبيا، ولكنها تحولت إلى حرب أهلية بين قوى المعارضة ومؤيدي نظام معمر القذافي. وزاد لهيب هذه الحرب بفعل التدخل العسكري الخارجي وحرب المعلومات ضد قائد ''**الجماهيرية**''.

وتجدر الإشارة إلى أنه من بين الأسباب أيضًا سعى جميع الأطراف إلى الحصول على جزء من الكعكة. فلم تكن ليبيا تعاني الفقر، وكانت الحكومة تقوم بتشييد أحياء سكنية عالية المستوى للفقراء وتوفر التعليم والرعاية الصحية المجانية بالإضافة إلى إعانات بطالة. كانت الطرق السريعة الممهدة تمتد عبر أراضي الدولة ذات المساحة الشاسعة وعدد سكانها الذي يبلغ 6.5 مليون فقط. قام القذافي بحفر نهر صناعي مستفيدًا من المياه الجوفية. وكانت ليبيا تمتلك أكبر احتياطي نفطي في إفريقيا وثالث أكبر دولة منتجة للنفط في القارة وبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي 12 ألف دولار سنويًّا (مثلما هو الحال في روسيا). [18]

ونظرًا لارتفاع نسبة النمو السكاني بلغت نسبة الشباب في ليبيا 40 – 50 % من إجمالي السكان. ووفقًا للإحصاءات الرسمية الليبية بلغ معدل البطالة بين الليبيين في عام 2009م[19] 20.7 % وهو أعلى معدل بين بلدان المنطقة. كان الشباب الليبي يحصل على تعليم مجاني، ولكنه كان يعاني في الحصول على العمل. تنامي الشعور بعدم الرضا وارتفع حجم الطموحات والآمال. كانت هناك فرص عمل كثيرة لكنها كانت وظائف غير راقية أو ذات رواتب متدنية. كان الأجانب يعملون في هذه الوظائف حيث كان هناك أكثر من مليون ونصف أجنبي مقيم في ليبيا أغلبهم من مصر. لم ينتفض هؤلاء فقد كان هدفهم كسب الرزق ولم يدعموا الشباب الليبي الغاضب.

لم يصدق الشباب الليبي الشعارات التي يطلقها النظام وكان مستاءً من ارتفاع مستوى الفساد وقسوة الشرطة وعزلة ليبيا عن العالم. كما كانت تصرفات القذافي ونظام حكمه لا ترضيهم.



obeikandl.com

أصبح القذافي ونظام حكمه هدفًا لحرب معلومات شعواء من قبل قنوات "**الجزيرة**" و"**العربية**" وغيرها من وسائل الإعلام الإلكترونية الغربية والعربية.

وعندما رأى هؤلاء نجاح مصر وتونس في عزل الحكام وبفعل انتشار الدعوات على وسائل التواصل الاجتماعي خرج هؤلاء الشباب إلى الشوارع. والتقط الإسلاميون راية الثورة ودعمهم جماعات رافضة للنهج العلماني لحكم القذافي. قام هؤلاء بالاستيلاء على مستودعات السلاح.

وتجدر الإشارة إلى الثوار الليبيين قد حققوا نجاحًا ملحوظًا في البداية في شرق البلاد وهي المنطقة التي يعود إليها الملك السابق **السنوسي** الذي تم عزله قبل 42 عامًا. عادت الشعارات التي تدعو إلى عودة الملكية في ليبيا. ورفع هؤلاء العلم الملكي.

وتم تأسيس مجلس وطني انتقالي في بنغازي. وترددت الدعوات إلى تأسيس نظام حكم خلافة في الشرق.

وشهدت ليبيا حربًا أهلية حقيقية.

ورد القذافي بتعبئة كل مؤيديه في الجيش والشرطة والقبائل الموالية وفصائل من المتمردين التابعين له. سقط قتلى ثم استولى الثوار على الأسلحة التي عثروا عليها في نقاط الشرطة والقواعد العسكرية. وأصبح لديهم الكثير من السلاح والعتاد. مات العشرات والمئات في المعارك بين الجانبين.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية والناتو يعتقدون أن السيناريو المصري أو التونسي سيتكرر في ليبيا. وغض هؤلاء الطرف عن طبيعة المعارضة الليبية التي يغلب عليها الإسلاميون. ولكن بدا أن نظام القذافي أكثر رسوخًا من النظام في مصر وتونس؛ ولذا فإنه عندما دار الحديث بدأ يدورحول تحقيق القذافي نصرًا عسكريًّا على المعارضة وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية والناتو يقدمون دعمًا عسكريًّا للمعارضة حيث قامت بتوجيه ضربات جوية وصاروخية للمواقع الحكومية. وتم ذلك بموجب قرار من مجلس الأمن رقم 1973 بتاريخ 17 مارس 2011م والذي لم يسمح بتدخل قوات احتلال أجنبي بأي شكل من الأشكال وعلى أي جزء من أراضي ليبيا.[20] وقامت قوات الناتو بتفسير هذا القرار على طريقتها الخاصة وظلت سبعة أشهر كاملة توجه ضرباتها الجوية (أكثر من 10 آلاف غارة جوية) والصاروخية وهو ما مهد الطريق لانتصار قوات المعارضة. كما قامت قوات الناتو بإنزال قوات خاصة بريطانية

وفرنسية تولت تنسيق وتوجيه الضربات الجوية.[21]

و قد انضمت كل من قطر والإمارات العربية المتحدة إلى قائمة الدول المشاركة في الحرب ضد القذافي حيث أرسلت عددًا من الطائرات. كما دعمت مصر والسعودية المجلس الانتقالي في بنغازي.

وتم الأمر بقتل القذافي بعد سبعة أشهر كاملة. حيث أصيب في أثناء ضربة جوية من قبل الناتو على مخبئة الأخير في مدينة سرت وتم أسره. وفي 29 أكتوبر تم تعذيبه أمام الكاميرات حتى الموت.

واستولت المعارضة التي كان يسيطر عليها الإسلاميون على مخازن الأسلحة.

وأصبح المجلس الوطني الانتقالي بمثابة الحكومة المعترف بها في ليبيا. غير أن الكثيرين كانوا يتساءلون ما إذا كان الناتو قد صنع مشكلة لن يتمكن لاحقًا من حلها؟

ففي حضور الداعمين وبترحيب منهم أعلن المجلس الوطني الانتقالي عن "إرساء سلطة القانون وبناء دولة ديمقراطية ذات تعددية سياسية"[22] إلا أنه وعلى أرض الواقع لم يكن يمتلك الأدوات أو الرغبة لتحقيق ذلك. لم يكن هناك مؤسسات مجتمع مدني أو هياكل حكومية في البلاد. ولم يكن من الممكن أن تحقق هذه الآمال ببعض القرارات والمراسيم.

اعتمدت سلطة القذافي على استقطاب القبائل في مناصب السلطة والتعاون المتبادل فيما بين القبائل وهو ما كان يحدد بشكل كبير مستقبل الدولة. كان هناك التزام بتحقيق التوازن بين القبائل في السلطة وتوزيع الدخل الاقتصادي والمنح الدراسية وغيرها. لم يكن القادة وأصحاب المناصب في ليبيا يأتون عبر الانتخابات. بل كان العلاقات القبلية تلعب دورًا أساسيًّا وستظل كذلك في ظل غياب أي مؤسسات أخرى.

انهارات الدولة واشتعلت المعارك فيما بين الإسلاميين والقبائل والجماعات العرقية والعصابات المسلحة.

وكانت البلدان الأكثر عرضة للتغيرات الثورية في تلك الفترة هي الجزائر واليمن وسوريا.

ففي 18 مارس 2011م وصل لهيب الثورة إلى سوريا وحتى الآن لم ينطفئ. وسنعود إلى سوريا تفصيلاً لاحقًا.



obeikandl.com

انتقلت القلاقل الاجتماعية إلى الجزائر. طالب الناس بالوظائف وتحسين ظروف العمل ورفع الرواتب. كان هناك تخوف من تحول الاحتجاجات الاجتماعية إلى تظاهرات سياسية. كانت هناك ومازالت في الجزائر ممارسات ديمقراطية. إلا أن هذه الممارسات كادت تصل بالإسلاميين إلى السلطة قبل 20 عامًا لولا تدخل الجيش وإلغاء الانتخابات. وفي التسعينيات عاشت الجزائر صدامات مسلحة بين القوات الحكومية الإسلاميين. واستمرت الحرب الأهلية 10-15 عامًا وأودت بحياة 150-200 ألف شخص.[23] ومنذ ذلك الوقت تم فرض حالة الطوارئ في البلاد.

وخلافًا لسوريا امتلكت الجزائر احتياطات نقدية كبيرة. وتمكن الرئيس بوتفليقة من منح حكمه وسلطته مسحة ديمقراطية. وبقي الجيش في الجزائر ضمانه للاستقرار وتم تشتيت قوى المعارضة العلمانية.

تعاملت السلطات الجزائرية بسرعة مع بوادر الاحتجاجات، حيث قامت باتخاذ عدد من الإجراءات والتدابير الاجتماعية والسياسية للقضاء على الموجات الاحتجاجية التي كانت تنتشر كقطع الدومينو من تونس إلى مصر إلى غيرها. تم إلغاء قانون حالة الطوارئ القائم منذ عام 1992م. وتم تشجيع إنشاء وسائل إعلام مستقلة. تم تنفيذ برنامج لرفع مستوى معيشة السكان والقضاء على البطالة بين الشباب وتجنب ارتفاع الأسعار على المنتجات الغذائية الأساسية.

وفي الوقت نفسه تم منح القوات المسلحة سلطة التنسيق بين الوزارات السيادية بهدف تحقيق استقرار الوضع ومكافحة الإرهاب.

كانت هذه الإجراءات ومعها الذكريات المؤلمة عن عشرية التسعينيات كفيلة بمنع انتشار الفوضى أو أن تؤدي إلى عزل النظام كما حدث في تونس ممصر.

إلا أنه وعلى المدى البعيد لا يجب أن نغفل التأثير الخطير للوضع في ليبيا على الجزائر وخاصة زيادة نفوذ الجماعات الإسلامية هناك.

وكان اليمن يعاني من وضع خاص حيث بقي الرئيس **علي عبد الله صالح** في سُدة الحكم طوال 33 عامًا. ويُعد اليمن واحدًا من أفقر البلدان العربية وأكثرها تخلفًا بسبب انتشار وتفشي البيروقراطية والفساد. كان على السلطة مقاومة الهجمات التي تقوم بها الجماعات الإسلامية المتطرفة؛ فضلاً عن هجمات الانفصاليين في الجنوب. ولا يمكن إغفال

دور التناقضات بين القبائل وبين الشيعة والسنة. [24] وفي النهاية كانت القبائل الكبرى هي من تحدد تطور الأوضاع في هذا البلد وإن لم يكن من المستبعد أن تتحول في أي وقت إلى صومال جديد. كانت المعارضة تعكس الصراع على السلطة بين مختلف القبائل مع استخدام عبارات ''**الديمقراطية**'' و''**حقوق الإنسان**'' كغطاء لما تقوم به.

لم يدر الحديث عن تدخل للناتو في اليمن، فهذا البلد لا يملك النفط. ألقت الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بمسؤولية مستقبل اليمن على عاتق دول مجلس التعاون الخليجي. فيما اكتفت روسيا بالدعوة إلى التسوية السياسية للقضايا اليمنية، وقامت بإجلاء رعاياها (ورعايا بعض الدول الأخرى) من هذا البلد الذي كان يعيش الحرب.

وفي 23 نوفمبر اتفقت الأطراف اليمنية في الرياض على تسوية الأزمة اليمنية، وقام الرئيس **صالح** بالتخلي عن منصبه.[25] وطبقًا للاتفاق مع المعارضة تنازل **صالح** عن الرئاسة إلى نائبه **عبد ربه منصور هادي**، وفي المقابل حصل الرئيس السابق على حصانة تمنع تعرضه لأي ملاحقة قضائية، ووعد الرئيس الجديد بتنظيم انتخابات جديدة في مارس 2012م. وبدا وكأن هناك رئيسًا جديدًا في البلاد يرأس الحزب الحاكم للرئيس السابق. وينتمي صالح إلى قبيلة شيعية من قبائل حاشد. ودبت الفرقة في البلاد. فالجنوبيون غير راضين عن وضعهم في اليمن الجديد وكانت هناك قوى كثيرة هناك تدعو إلى الانفصال. وينتمي الرئيس هادي إلى الجنوب. أما الشمال فكان منقسمًا بين القبائل. أخذ الصراع يحتدم بين قبيلة صالح وقبيلة الأحمر وكان كل منهما يسيطر على فرق عسكرية حكومية. وأخذ كل طرف يستخدم شعارات الديمقراطية المحببة للإعلام الغربي.

واستمرت الصراعات بين القبائل في السنوات التالية مع تبدل التحالفات والشعارات. غير أن اليمن لم يشهد حل أي من المشكلات التى قامت بسببها الثورة في عام 2011م.

وفي ظل هذا الوضع كانت قوات الحوثي هي الأكثر تنظيمًا وقدرة في اليمن. وشهدت الفترة بين سبتمبر 2014 م وفبراير 2015 م سيطرة هذه القوات على شمال اليمن وجزء من جنوبه. وأقام الحوثيون تحالفًا مع القوات المؤيدة للرئيس السابق **على عبد الله صالح** (الذي كان قد خاض ضدهم ستة حروب في السابق) وسحقوا قوات الأحمر.

وأثار انتصار الحوثيين غضب دول الخليج العربي التى بدأت في توجيه ضربات جوية على مواقعهم. وزاد من تعقيد الموقف نشاط ''**تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة**'' الذي ظهر في

اليمن في عام 2009م. [26] واكتسب التنظيم مؤيدين كثر في اليمن الجنوبي.

وفقد **عبد ربه منصور** السلطة في يناير 2015م[27] وفر من البلاد، إلا أنه عاد وتمركز في عدن بمساعدة القوات السعودية والإماراتية وسعى إلى البدء في هجوم معاكس على الشمال. عمت الحرب الأهلية البلاد وشاركت فيها قوات التحالف الذي يضم السعودية ودول الخليج.

وفي أغسطس 2015م حققت قوات هادي بدعم من قوات التحالف بعض النجاحات واقتربت قواتهم من تعز. وفي 2016م تواصلت الحرب الأهلية في اليمن الذي بدا منقسمًا بين شمال وجنوب.

وفيما يتعلق بالممالك العربية في الأردن والمغرب فقد بدا الوضع مختلفًا. كان حكَّام هاتين الدولتين من الشباب المثقف والمتعلم واستبقوا الأحداث بإجراء إصلاحات وتوسيع مستوى تمثيل الشعب في السلطة وقاموا بإجراء حوار مع المعارضة الإسلامية. وتعتبر الأسرتان الحاكمتان في البلدين من أحفاد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتحظيان باحترام كبير بين المسلمين.صحيح أن الفقر وعدم القدرة على تلبية رغبات وآمال الجماهير ونقص الموارد يضاعف من حجم التوترات الاجتماعية، إلا أنه لم يؤد (حتى الآن) إلى ظهور حركات معارضة للحكم الملكي.

وتعتبر المغرب دولة ملكية دستورية ببرلمان منتخب. وفي نوفمبر 2011م تم إجراء انتخابات برلمانية جديدة فاز فيها الإسلاميون.

ويمكن القول إن الحكم الملكي في البلدين سيبقى مع ضرورة إجراء بعض التحولات الجادة.

وفيما يتعلق بالممالك في الخليج العربي (باستثناء البحرين) فإنه لا يوجد أي حراك شعبي يعارض السلطة الحاكمة.

والسؤال المهم هو هل كانت هناك أسباب كافية لظهور تحولات ثورية في بلدان شبه الجزيرة أثناء موجة الربيع العربي؟ بالطبع لا. شهدت هذه الدول عمليات إصلاح وتحولات تدريجية في كل من المملكة العربية السعودية وغيرها من ممالك الخليج وإن كانت بوتيرة مختلفة. فالسكان في هذه الدول يؤيدون الحكم الملكي. كل ما في الأمر أن بعض القوى الليبرالية تطالب بتقليص صلاحيات الملك وإدراج النظام الملكي في الإطار الدستوري. ولا يمكن أن

نطبــق آلية تحليل الوضع السياســي والاجتماعي في مصر وتونس علــى هذه البلدان حيث سيؤدي ذلك إلى تشويه الصورة تمامًا.

وفي البحرين ذات المليون نســمة قامت الجماهير بالخــروج مثل نظيرتها في مصر وتونس مطالبــة بعزل الملك. والجدير بالذكر أن البحرين هي مقر لرئاســة أركان الأســطول الخامس الأمريكي، حيث ينتشر بشكل دائم آلاف من قوات البحرية الأمريكية.[28] وينتمي الملك إلى عائلة سنية فيما أغلب سكان البلاد (70 %) من الشيعة؛ ولذا فقد امتزجت الاحتجاجات الاجتماعية مع الطائفية. وتتمتع البحرين بمستوى معيشة مرتفع بين مواطنيها بما فيهم الشيعة. إلا أن الســكان الشيعة كانوا يطالبون بعدم التمييز ضدهم. كان النظام الملكي يسيطر على الجيــش والشــرطة، ولكنه بدأ في تقديم التنازلات الواحدة تلــو الأخرى. وكانت إيران تدعم المعارضة الشيعية وتدفعها للاحتجاجات.

وعندما ســاء الوضع دعت البحرين الســعودية والإمارات إلى التدخل عسكريًّا. فأرسل البلــدان حوالي ألفي جندي في 14 مارس 2011م لحماية المؤسســات الحكومية والمصالح الحيوية.[29] وانتهت الاحتجاجات بقليل من الخسائر البشرية.

وظلت التناقضات والخلافات الشــيعية السنية سببًا أساسيًّا من أسباب الأزمة في منطقة الخليج والشرق الوسط والأدنى وخاصة بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق وأفغانستان.

وقد أثار استيلاء الشيعة على الحكم في العراق والاحتجاجات الشيعية الواسعة في البحرين قلقًا شــديدًا في بلدان الخليج العربي. وتحدثت وســائل الإعلام عن دعم إيراني للشــيعة في البحرين. لم تكن هناك معلومات محددة تفيد بهذا التدخل، إلا أن اللهجة الإيرانية اتســمت بالعداء والدعوة للحرب.

و دعــت بلدان الخليج الغرب إلى الضغط على إيران ونشــطت المملكة العربية في ذلك خاصة وأن نســبة من سكان المنطقة الشرقية من الشيعة (وفقًا لبعض الإحصاءات تبلغ نسبة الشيعة 10 – 15 % من سكان السعودية).[30]

وســعت الدعاية الإيرانية إلى تصوير الثورات العربية بوصفها امتدادًا للثورة الإيرانية في عام 1979م. ونشطت إيران في السنوات الأخيرة في توثيق صلاتها مع حزب الله في لبنان وحركة حماس في قطاع غزة وحزب البعث في سوريا.



obeikandl.com

أدت الثورة المصرية إلى تغيير ميزان القوى بين الشـيعة والسـنة في المنطقة بوصفها الدولة السـنية الأكبر. وسـعت مصر إلى تطبيع علاقاتها مع إيران بعد الثورة أو على الأقل تجنب المواجهة. ودار الحديث عن استئناف العلاقات الدبلوماسية.

ومـن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دعمت وتدعم الحركات الاحتجاجية في إيران بمساعدة أجهزة المخابرات والأموال وتكنولوجيا المعلومات. فقد بدت إيران قوية تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن قامت الأخيرة بالقضاء على أعداء إيران – سـلطة ونظام حكم صدام حسين في العراق وطالبان في أفغانستان.

وفي إيران سيطرت حالة من عدم الرضا على سلطة **الملالي**. وبدت الحركات الاحتجاجية شـبيهة بما حدث في مصر حيث قادتها الطبقة الوسـطى المثقفة ونصف المتعلمين. غير أن السلطات الإيرانية بدت أكثر قوة وتماسكًا وعلى استعداد لاستخدام القوة ضد المحتجين.

وقد سـاعدت اتفاقيـة إيران النووية في عـام 2015م على تخفيـف التوتر بين طهران والغرب، إلا أنها لم تخفف من حدة التوتر السني الشيعي في المنطقة.

وقد أيَّد عدد من ممثلي الطبقة الوسطى في السعودية إحداث تغييرات على الطريقة المصرية إلا أنه كان عليهم الاختيار بين البقاء في العيش الرغد أو التعرض لمخاطر وتبعات الثورات.[31] وفي السـعودية التي تمتلك المؤسسـة الدينية فيها جذور تاريخية عميقة لا يمكن الحديث عن تجديد مبادئ الإسلام لأن الشريعة هي القانون الحاكم والوحيد هناك. وتمتلك الحكومة فضلاً عن الشرطة قوات "**الحرس الوطني**" والتي تتألف من أفراد يدينون بالولاء للدولة. أما العمالة الأجنبية والتي تبلغ حوالي سـبعة ملايين (معظمهم من باكستان وبنجلاديش والهند والفلبيين وبعض الدول العربية) فقد قدموا إلى هنا لجني المال ومن ثم الرحيل.

وتمتلك البلاد موارد مالية ضخمة تم توجيهها نحو تنويع الاقتصاد وخلق فرص عمل جديدة وتحقيق أهداف اجتماعية ودعم القوات المسلحة.

كان لدى الحكومة الكثير من الوسـائل لإضعاف المعارضـة. كان بمقدورها اللجوء إلى القمـع أو الدعاية أو الروابط القبلية أو الرعاية. وفي عام 2011م وقبل عودته إلى بلاده بعد رحلـة علاج أعلن الملك **عبـدالله** عن برنامج رعاية اجتماعية بلـغ تكلفته 37 مليار دولار موجه إلى الفقراء وتأجيل سـداد القروض والتوسـع في بناء المساكن. وتم منح المرأة المزيد من

الحقوق.[32] إلا أنه تجدر الإشـــارة إلى أن أي خطوات نحو الديمقراطية ســـتمنح المزيد من القوة لإســـلاميين المناهضين للغرب؛ ولذا فإنه حتى الليبراليين وجدوا في الدعوة إلى انتخابات حرة خيارًا خطرًا.

ففـــي محافظة الشـــرقية حيث يتركز الشـــيعة في الســـعودية كان من الممكـــن أن تندلع احتجاجات. إلا أن القادة والزعماء الدينيين هناك كانوا على قدر كبير من الحذر. فقد خافوا أن تلاحقهم الاتهامات بلعب دور الطابور الخامس لإيران.

والمؤكد أن أغلب الســـعوديين ضد الثورة وإن كان أحدهم لا يرفض الإصلاح ومكافحة الفساد.

وبعد وفاة الملك عبدالله في يناير 2015م تولى أخوه **سلمان بن عبد العزيز** الحكم. وفي عهـــده تم تغيير نظام الحكم في المملكة حيـــث تولى ابن أخيه الأمير **نايف** (56 عامًا) ولاية العهد وكان يشـــغل منصب وزير الداخلية. كما تم تعيين الأمير **محمد بن ســـلمان** ولى لولي العهد ووزيرًا للدفاع ورئيسًا لمجلس الشؤون الاقتصادية.[33]

## دور الشخصيات

من أهم أســـباب ضعف الأنظمة الســـلطوية أمام الثورات والحـــركات الاحتجاجية أزمة الســـلطة الشـــخصية للزعماء وأعمارهم، ووجودهم لفترات طويلة في قمة هرم الســـلطة. فقد تغيرت المجتمعات بشكل جذري فيما فقدوا التواصل مع شعوبهم.

ومهما كانت الخدمات التي قدموها في الماضي فإن موقف كهذا لم يكن يعني سوى ركود سياسي وعجز النخب الحاكمة عن الشعور بنبض الجماهير.

وفي ظـــل غياب التحـــولات والإصلاحات تشـــكلت جماعات مغلقة رغمًـــا عن إرادة الســـلطة وتوفرت الظروف الملائمة لانتشـــار الفساد الذي تفشـــى حتى بين الدوائر الحاكمة وعائلاتهم. كانت سيطرة دوائر الحكم على مفاصل الاقتصاد من الأمور التي عقدت وأعاقت الإصلاحات. كما تسببت السيطرة على حركة ترقيات الموظفين والكوادر في القطاع الحكومي والمؤسسات الاقتصادية إلى منع الشباب من الترقي في السلم الاجتماعي.

فقد اتسمت فترة حكم **بن علي** في تونس بتفشي الفساد وسيطرة عائلات على أنشطة اقتصادية. وقد قام بمساعدة زوجته بإخفاء الماس والذهب وملايين الدولارات واليورو في قصره.[34] انفجر غضب الشعب الذي خرج إلى الشارع.

وفي خطابه الأخير صرح الرئيس **مبارك** قائلاً: "**هذا خطاب الأب إلى أبنائه وبناته**". ربما كان يؤمن صدقًا بما يقول. إلا أن حديثه أثار سخرية وصرخة من الملايين المحتشدة: "**ارحل**".

وعندما كانوا يكتبون آخر خطاب لمبارك إلى الشعب فقد الأخير وعيه مرتين.

ومن وراء ذلك كانت هناك مأساة تتمثل في عدم فهم الأب لأبنائه وبناته. فضلاً عن عناد وضع مصر على حافة الانهيار. كان الرئيس ذو 82 عامًا يؤمن بأنه الوحيد الذي يستطيع إنقاذ البلاد من الانزلاق إلى الهاوية. إلا أن شعبه قد تغير تمامًا خلال 32 من حكمه.

بعد أن وصل **مبارك** إلى الحكم بعد مقتل السادات أمر بالإفراج عن عدد كبير من المعتقلين السياسيين وسعى إلى استئناف العلاقات مع البلدان العربية التى سبق أن قطعت علاقاتها بمصر بعد توقيع معاهدة السلام. وعلى الرغم من انتشار الشائعات حول قيامه وأسرته بنهب المليارات من الدولارات إلا أن عدداً من الدبلوماسيين المصريين كانوا يرون في ذلك مبالغة شديدة. ولم تثبت التحقيقات القضائية هذه السرقات.

وخلال حكم مبارك تطورت الصناعة والسياحة وحصل مئات الآلاف على تعليم جامعي وأصبحت لدى الملايين من المصريين فرصة استخدام الإنترنت وكان في كل بيت تلفاز. كانت شريكته في مأساته الأسرية هي زوجته **سوزان** التى أرادت أن يصبح ابنها رئيسًا يرث والده.

كان الابن الأكبر **علاء** رجل أعمال ومشجع كرة قدم ولم يكن يمارس السياسة. أما الأصغر **جمال** فقد كان وريثًا غير معلن لمبارك وهو ما أثار غضبًا بين الناس. تحدث **جمال** مع أصدقائه عن أسر حاكمة مثل عائلة **كيندي** و**بوش** و**كلينتون** في الولايات المتحدة الأمريكية فضلاً عن الأسر الفرعونية.

كان **جمال** يفتقد إلى خصال الزعيم السياسية ولم تكن لديه كاريزما. وبعد أن أصبح رئيسًا غير رسمي للحزب الوطني الديمقراطي تجمع حوله القطط السمان النهمين للمال والسلطة. وانقسمت النخبة المصرية.

وفي ربيع 2010م كان نجم جمال مبارك قد خفت ولم يكن يلقى قبولاً من الجيش الذي لم ير فيه زعيمًا.

كان **مبارك** يعتمد على الجيش ولكن قادة الجيش أقنعوه أن السبيل الوحيد للقضاء على الاحتجاجات هو أن يتخلى عن السلطة. وخضع الرئيس الطاعن في السن المهزوم لمطالب الجيش.

لم يكن **مبارك** يشاهد المواد التليفزيونية حيث يتجمع الملايين في ميادين القاهرة فرحًا بالإعلان عن استقالته من منصبه. وتحت ضغط الشارع تم اعتقال **مبارك** وعائلته وعشرات من المقربين منه وتقديمهم للقضاء. كان ظهور مبارك ضعيفًا على كرسي متحرك في قفص الاتهام سببًا في تعاطف عدد من المصريين معه. [35]

وأصبح **وائل غنيم** أيقونة الثورة. وهو شاب يبلغ من العمر 30 عامًا ويعمل مهندس كمبيوتر ومدير فرع شركة تسويق جوجول في الشرق الأوسط. وقد تخرج في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ووصف بكونه مديرًا ناجحًا. امتلك غنيم خبرة واسعة في تسويق أفكاره بما فيها عن الديمقراطية وبالشكل الذي يحبه رواد الفيسبوك.[36] كان الفيس بوك من الأدوات التى استخدمها الشباب في مقاومة الشرطة المصرية.

وفي يونيو 2010م قام رجل أعمال شاب من الإسكندرية يدعى **خالد سعيد** بنشر فيديوهات لرجال شرطة يتعاطون المخدرات وتم القبض عليه وضربه حتى الموت. ونشرت صورته على صفحات الإنترنت وعلى جسده آثار التعذيب وعندها قام **غنيم** بتدشين صفحة خاصة على فيس بوك بعنوان " **كلنا خالد سعيد**".

وأصبحت هذه الصفحة علامة مسجلة للنضال ضد الشرطة في مصر حيث أصبحت تنشر صورًا ومقاطع فيديو وأخبار مختلفة. وسرعان ما تحولت هذه الصفحة إلى أحد أكثر الصفحات المعارضة انتشارًا في مصر.

وعندما أدت الاحتجاجات في تونس إلى عزل **بن علي** صرح **غنيم** أن بإمكان المصريين القيام بثورتهم. وأصر **غنيم** أنه لا هو ولا رفقاؤه زعماء للثورة، وأن ما يفعله هو أنه يجعل الناس يشعرون أنهم هم السلطة. لم يكن للثورة في مصر قادة.

openkandil.com

وقد تم القبض عليه بعد 25 يناير. عندما اتضح ان الاسم المستعار ''**الشهيد**'' هو اسمه هو. وأعلن الثوار في التحرير أن **غنيم** هو زعيمهم الرمزي وانتشرت في الفيس بوك صفحات تحمل عنوان ''**كلنا غنيم**''. وكان للكشـــف عن اسمه فضل في نجاته حيث تم الإفراج عنه في ذروة الأحداث. [37]

كان **غنيم** يعي قيمة الشـــعارات ''**الحرية**'' و''**الكرامـــة**'' و''**الديمقراطية**'' إلا أنه لم يكن يملك برنامجًا لتحقيق ذلك.

ولكي نرســـم صورة واقعية للوضع في ليبيا يجب أن نفهم شـــخصية القذافي الذي بقي في سُدة الحكم لأكثر من أربعة عقود. هذا الضابط الشاب المولع بشخصية **جمال عبد الناصر** زعيـــم الثورة المصرية في عام 1952م (التي وصفت بأنها ثورة اجتماعية ومعادية للغرب) قام بتنظيم انقلاب في ليبيا ضد الملك، وكان ذلك في عام 1969م. ثم قام القذافي بالقضاء على القواعد العســـكرية الأمريكية والإنجليزية وتأميم الشركات النفطية والبنوك الأجنبية وممتلكات العائلة المالكة وأراضي المســـتعمرين الإيطاليين وســـعى إلى بناء دولة جديدة. وكما فعل **عبد الناصر** قام القذافي بإرســـاء تعاون وثيق مع الاتحاد الســـوفيتي وقام بشراء تلال من الأسلحة السوفيتية (وكان يلتزم بدفع قيمة الصفقات) وبناء المصانع وتوفير المعدات.

كان القذافي حالمًا. فقد حلم بتأســـيس دولة عربية موحدة. وعندما فشل مشروعه أصبح يحلم بتأســـيس الولايات المتحدة الإفريقية، إلا أن الأمر لم يتجاوز التصريحات. حلم القذافي بتأســـيس مجتمع عادل ومنع التجارة الخاصة وهو ما أدى إلى ظهور الطوابير ونقص الســـلع والمنتجات في بلد غني نسبيًّا. كانت السلطة في يد اللجان الشعبية شكليًّا ولكنها فعليًّا تحت سيطرة البيروقراطية وجهاز الشرطة والمقربين منه.

غير أن القذافي الحالم كان دكتاتورًا قاسيًا. ففي ظل سعيه إلى أن يجعل الناس ''**سعداء**'' و'' **أحرار**'' أقدم على قتل المعارضين والمنافسين.

بقـــي القذافي زعيمًا بدويًّـــا قانعًا بأنه المهدي وأنه صاحب النظريـــة العالمية الثالثة. كان يتصرف بشكل فيه الكثير من التعالي والتحدي وهو ما باعد بينه وبين العرب والأفارقة. ولكن نفوذه كان راسخًا بفضل النفط الليبي ورؤوس الأموال المليارية الضخمة.

وبعـد بداية الثـورة وجدت الولايات المتحـدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي نفسـها أمام معضلة. فبعد فترة من المعارضة الشـديدة والعداء للغرب أصبح القذافي في السـنوات الأخيرة زعيمًـا مقبولاً. فقد اعترف القـذافي ضمنيًّا بتورط ليبيا في انفجار الطائـرة الأمريكية ودفع تعويضـات لعائلات الضحايا وصلت وفق تقديـرات مختلفة من مليار إلى 2.5 مليار دولار ( وحتى 3 مليارات)[38] كما تخلي طوعًا عن برنامجه النووي وقام بتسـليم الباكستانيين الذين سـلموه تكنولوجيا نووية.[39] (كان القذافي واقعيًّا ورأى كيف اعتدى الأمريكيون على العراق بحجة عدم السـماح بإنتاج قنبلة نوويـة). وقام من جديد بدعوة الشـركات النفطية الغربية للعمل في بلاده. وقام بإبرام صفقات ناجحة بالمليارات مع إيطاليا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والصين. تم ضخ الأموال الليبية في سـوق الأسـهم والعقارات في الغرب. وبدأت عمليـة خصخصة لقطاعات التجارة والصناعة والبنوك وهي العملية التى تربح منها الأجانب والدائرة المقربة من القذافي.

## لم يعد أحد يكترث لخطاباته المعادية للغرب وإسرائيل

وفي سـبتمبر 2008م زارت وزيرة الخارجية الأمريكيـة **كونداليزا رايس** طرابلس وكانت تلك أول زيارة بهذا المسـتوى منذ 1957م. وصرحت **رايس**: "حان الوقت لتطوير تعاون بنَّاء بين ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية"[40]

ولكـن وبعد انطلاق الثـورة راهن الناتو على خلع القـذافي وأصبحت نهايته على مرأى العين.

وفي سوريا رأى الكثيرون في الرئيس الأسد الابن قائدًا يمكنه القيام بإصلاحات. بدأ الأسد دراسة الطب في لندن واطلع على نمط الحياة في الغرب والفكر الغربي. كما أنه يتقن الإنجليزية والفرنسية فيما تعود زوجته الأنيقة لأصول إنجليزية.

ومنذ بداية إصلاحات السـوق في عام 2006م تركزت القطاعات الرئيسية في الاقتصاد في يد أقارب **بشار الأسد** والمقربين منهم من رجال الأعمال.

لم يسـمح الحرس القديم من البعثيين ودائرة الرئيس بإجراء إصلاحات سياسية. خشيت النخبة الحاكمة من التبعات الكارثية للإصلاحات كما حدث في الاتحاد السـوفيتي سـابقا (كان **بشـار الأسـد** يلمح لذلك كثيراً في خطاباته). إلا أن نفوذ الرئيس بقي قويًّا سواء في الجيش أو بين طبقات واسعة من المجتمع.



obeikandi.com

وفي اليمن أظهر **الرئيس عبدالله صالح** قدرة رائعة على البقاء في السلطة بفضل مناوراته السياسية وسياساته المرنة، فحافظ على ولاء الجيش وجزء من القبائل. كانت الحرب الأهلية دائرة. ووافق صالح في النهاية على الانسحاب من السلطة إلا أن المعارضة لم تكن قانعة بالاتفاقيات التى تم التوقيع عليها. بقي صالح شخصية لها ثقلها سياسيًّا وأبرم تحالفًا مع الثوار الحوثيين.

## هل كانت غرفة العمليات في واشنطن هي من تصنع القرارات؟

كانت واشنطن الرسمية على علم بالتوتر السياسي والاجتماعي في البلدان العربية، وكانت تعتقد أن الإصلاحات ضرورية على أن تأتي من الأعلى وبالتدريج وفي إطار تحالف مع الغرب. غير أنها كانت تمارس أيضًا ضغوطًا من أسفل ومن خلال الجمعيات والمنظمات غير الحكومية ذات التوجهات الليبرالية. لم تقدر واشنطن قوة الإسلاميين أو ربما أملت في استمالتهم.

وقد رفض الزعماء العرب الأساليب والمناهج الأمريكية في فرض الديمقراطية. أما المنظمات غير الحكومية التى قامت بأموال أمريكية وغربية فقد بقيت هامشية وغريبة على هذه المجتمعات.

كانت الدعاية الأمريكية والغربية الموجهة توقد نار الاحتجاجات في العالم العربي فضلا عن القنوات العربية التى كانت تعلى من قدر القيم الغربية وتقدمها في غلاف عربي. وبعد نجاح بعض الثورات الملونة في بلدان الاتحاد السوفيتي السابق بدا الهدف قريبًا وممكنًا في البلدان العربية. وعوضا عن شعار الإخوان المسلمين "**الإسلام هو الحل**" و" **القرآن شريعتنا**" انتشرت شعارات "**الديمقراطية هي الحل**" و"**حقوق الإنسان هي شعار النضال**" و"**الحرية هي الهدف**". كانت تلك أهدافًا حالمة ورائعة في نظر الشباب المتعلم وأنصاف المتعلمين. فمن منهم سيهتم بأن يتم تجاهل تقاليد حضارته التى تمتد لآلاف السنين أو قواعد المسؤولية الاجتماعية؟ كل هذا بدا غير مهم، ورأى الشباب أنه يجب إلقاء التقاليد من سفينة الحياة المعاصرة.

وقامت المؤسسة الوطنية الأمريكية لدعم الديمقراطية[41] والتى يبلغ رأسمالها عشرات ملايين الدولارات بمتابعة الزعماء المحتملين في العالم العربي. وساعدها في ذلك الشبكة الواسعة من المنظمات غير الحكومية والدعوات التى توجه لكبار الشخصيات للندوات والمؤتمرات في الغرب والمنح الدراسية. قام هؤلاء بتدريب الشباب على كيفية التصرف إذا ما أغلقت السلطات

خدمة الانترنت وكيفية تنظيم الاحتجاجات بمساعدة الهواتف النقالة وكيفية نشر الأفكار عبر الفيس بوك وكيفية استخدام خدمات موقع تويتر وتحديث المعلومات وربط مجموعات المحتجين ببعضهم البعض.

ومن بين المدربين أعضاء مهمين في حملة **باراك أوباما** من المسؤولين عن الشبكات الاجتماعية. وتعد المنظمة غير الحكومية ''**التحالف من أجل الحراك الشبابي**''[42] المسؤول عن التنظيم.

وقد شاركت مؤسسة دعم الديمقراطية في إعداد وتنظيم الثورة الجورجية كما ساعدت حركة ''**كفاية**'' في مصر.[43] غير أنه بدا أن هذه الحركة الليبرالية المدعومة من قِبل الغرب لا تحظى بدعم مجتمعي فضلاً عن تعرضها للتضييق من قبل السلطات.

و قام رجل الأعمال الشهير **جورج سورس** بافتتاح مؤسسة نشطت في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا[44] وقدمت دعمًا ماليًّا للكثير من الجماعات المعارضة. فعلى سبيل المثال مولت المؤسسة محطة ''**كلمة**'' الإذاعية في تونس والتي أصبحت منبراً للثورة الشبابية.

كما صرحت الصحيفة السويدية ''**سفينسكا داجبالديت ستوكهولم**''[45] بأن الشباب المصري والتونسي قد تدرب واستخدم أساليب صممها مجموعة من الشباب الصربي الذي نجح في إسقاط نظام الرئيس **سلوبودان ميلوسيفيتش** في عام 2000م. كما تمت الاستفادة من تجربة **مهاتما غاندي** في ''**المقاومة السلمية**'' وكذا مناهضو العنصرية في جنوب إفريقيا ومؤيدو الزعيم **مارتين لوثر كينج**، وحصل منظمو الاحتجاجات الشعبية في مصر على تدريبهم في صربيا.

ويرجع الفضل في صياغة إستراتيجية الحراك السلمي لتحقيق أهداف اجتماعية وسياسية إلى جين **شارب** خريج جامعة هارفارد. ففي كتابة ''**من الديكتاتورية إلى الديمقراطية**''[46] يعدد 198 طريقة لتنظيم الاحتجاجات السلمية. وقد طبع الكتاب أكثر من مرة.

وتسمح هذه الحقائق لبعض المحللين بالحديث عن ''**نظرية المؤامرة**'' والتأكيد على أن جميع الأحداث الثورية في العالم العربي تمت وفق سيناريو معد مسبقًا في واشنطن التي سعت إلى خلق حالة من الفوضى ''تحت السيطرة الأمريكية''. إلا أنه تم تجاهل التناقضات في بنية السياسة الخارجية الأمريكية نفسها وغياب مركز موحد يحدد هذه السياسة واحتمالية

أن تتقاطــع الجهود التى تقوم بها المراكز والمؤسســات الأمريكية المختلفة وتعمل في اتجاهات متناقضة. (''**نظرية المؤامرة**'' سادت في العالم العربي وروسيا. سنعود لها لاحقا).

من السهل إلقاء التهم عندما لا تتعمق في جذور المشكلة. من السهل أن تصف الثورات وحركات الاحتجاج بالمؤامرة الأمريكية او الإسرائيلية.

نعم. لم تكن السياســة الخارجية الأمريكية أقل أيديولوجية من نظيرتها الســوفيتية. كان الأمريكيــون يحلمون بفرض الديمقراطية علــى الطريقة الأمريكية في العالم كله حيث يجب أن تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أنفقوا في ســبيل ذلــك أموالاً طائلة وأصبحوا جزئيًّا أســرى لأيديولوجيتهم الخاصة. إلا أن هذه الجهود امتزجت بسياســة الهيمنة الأمريكية على العالم. دائمًا ما كانت البرجماتية والمصالح الأنانية الأمريكية في المقدمة؛ ولذا لا يجب أن نهرب من حقيقة أن هناك تحالفًا سياســيًّا وعســكريًّا حقيقيًّا بين واشنطن وبين الأنظمة التى كانت تحكم العالم العربي. (شــاهدت بنفســي أثناء مؤتمر الاتحاد الإفريقي والاتحاد الأوروبي الذي عقــد في طرابلس في عام 2010 كيف كان القادة الأوربيون يتوددون إلى القذافي). لم يكن هناك بديل عن التعاون بين الغرب وبين هذه الأنظمة بهدف دعم الاستقرار فيها الذي هو في مصلحة الغرب والحفاظ على الســلام مع إسرائيل وضمان الوصول دون معوقات إلى مصادر النفــط في هذه المنطقة الضخمة. ولم يكــن من بديل عن التعاون في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف الإسلامي.

ولتحقيــق هذه الأهداف كان من الطبيعي انتهاج سياســة ازدواجية المعايير. فمن ناحية حافظت واشــنطن على التعاون مع زعماء المنطقة ومن ناحية أخرى قدمت مســاعدات إلى المنظمــات غير الحكومية ووفرت لها التكنولوجيا الحديثــة. ولم يؤخذ في الاعتبار أن للثورات منطقها الخاص والعفوي.

كشــفت الثورات العربية عن حقيقة أن النضال السياسي لا يحدث في الشوارع والميادين بل وعلى المواقع الإخبارية ومنصات التواصل الاجتماعي. وجدت الحكومات حلولاً للسيطرة على سرعة الإنترنت فقام مقدمو خدمة الإنترنت بالتحايل على هذه القيود.

لم يكن انهيار المؤسسات السياسية في تلك المنطقة في صالح واشنطن. وكان من أولويات أوباما في فترة ما قبل الانتخابات توفير الظروف المناسبة للانسحاب من أفغانستان والعراق أو على الأقل تقليص الوجود العســكري الأمريكي فيها وكذا الحفاظ على الشراكة الإستراتيجية مع إسرائيل.



obeikandl.com

وفجأة تونس ثم مصر ثم ليبيا ثم البحرين ثم اليمن ثم سـوريا. عشـرات فمئات فملايين المتظاهرين.

لم تتوقع واشـنطن حالة الانهيار المفاجئ في استقرار هذه المنطقة بأكملها. كما لم يتوقع ذلـك حلفاؤها الغربيون واحتاج هؤلاء إلى بعض الوقت للانتقال من حالة التردد إلى التحول مـن دعم النظم المقربة منهم في المنطقة إلى الإعلان عن تضامنها مع الحركات الاحتجاجية. كان الخيار صعبًا بين الحفاظ على الوضع الراهن في ظل عدم قدرة على توقع ما سـيحدث وبين الغموض الكامل الذي سـيحدث نتيجة لتغير القوى السياسية المسيطرة على الحكم في هـذه البلدان. كما أخذ في الاعتبار حقيقة أن الفعاليات الجماهيرية في الدول العربية كانت تحمل في بعضها شـعارات معاديـة لأمريكا في حين كانت مطالـب المتظاهرين في جوهرها تنادي بالديمقراطية وهو المطلب الذي طالما دعت الإدارات المتعاقبة في واشنطن البلدان العربية بتطبيقه.

وكانت السياسـة الأمريكية تجاه كل بلد تتوقف على الظروف وأهمية هذا البلد بالنسـبة للولايات المتحدة.

ففي مصر أيدت واشنطن تدخل الجيش لضمان الاستقرار خلال المرحلة الانتقالية وحتى يتم تشـكيل مؤسسات السلطة. وفي تونس كان الأمر نفسه تقريبًا. وفي اليمن حيث تفكك الجيش ابتعدت واشنطن عن لعب الدور الأساسي وتركت المبادرة لمجلس التعاون الخليجي. أما فيما يتعلق بالبحرين وسـوريا فكان رد فعل واشنطن خجولاً في البداية حيث اكتفت بانتقاد الاسـتخدام المفرط للقوة. واكتفت واشـنطن بإطلاق بعض التصريحات حيال ما يحدث في البحرين.

ومع بداية الثورة المصرية في 25 يناير كان التردد واضح على سياسة أوباما تجاه الأحداث. فمن ناحية دعمت واشـنطن حليفها مبارك ومن ناحية أخـرى عملت على إقناعه بضرورة إجراء إصلاحات عاجلة وأوصت بتطوير الديمقراطية مع الحفاظ على النظام.

وعندما امتدت الموجة الثورية الى بلدان عربية أخرى ظهر الكثير من التناقض في تصريحات وتصرفات البيت الأبيض ووزارة الخارجية والبنتاجون. وكانت وزارة الدفاع الأكثر اتزانًا، حيث تابعت الموقف عن كثب ومارست بعض الضغوط.



obeikandl.com

وفي أثناء الأزمة السياسية والاجتماعية التى شهدتها مصر قررت الولايات المتحدة الأمريكية التضحيـــة بالرئيس **مبـــارك** والمقربين منه وأعطت الضوء الأخضـــر للمعارضة المصرية في ظل ضمان الجيش للاستقرار.

**م. بوجدانوف:**[47] عندما بدأ المســؤولون في الغرب يصرحون بأن الرئيس **مبارك** عليه أن يرحل قمنا بسؤال شركائنا الأمريكيين: ما حاجتكم إلى ذلك؟ إنه حليفكم وضمانه للاستقرار في العلاقة بين مصر وإسرائيل واستمرار الالتزام بمعاهدة كامب **ديفيد** التى قام بتوقيعها الرئيس **السادات**. فكان ردهم: لا. لقد قال أوباما إنه يجب أن يرحل. فسألناهم: فمن الذي سيأتي؟ لقـــد أظهرت الأحـــداث اللاحقة أن البديل هو ''**الإخوان المســـلمون**'' وهم بعيدون عن الديمقراطيـــة. ذكرتنا أحداث الربيع العربي بأحـــداث الثورات الملونة التى وقعت في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق – كيرغيزيا وجورجيا ثم أخيرا في أوكرانيا.

كان هناك الكثير من أوجه الشـــبه. تبدأ الأحداث بمظاهرات ســـلمية في ميدان التحرير بالقاهرة أو الميدان في كييف ثم تقوم وســـائل الإعلام بحشد الناس ودفعهم إلى المطالبة بتغيير النظـــام ثم خلع الرئيس نفســـه. ويزداد الضغط حتى تأخذ الأحـــداث منحى عنيفًا. يتدخل الجيش لضمان الأمن وعدم السماح بانفلات الوضع. وكنا نرى دومًا أن مثل هذه التطورات الاجتماعية والسياســـية تؤدي إلى إضعاف مؤسسات الدولة وتخلق فراغًا خطرًا لدى السلطة يمنعها من السيطرة على الوضع. ولا شيء بمقدوره ملء هذا الفراغ سوى الفوضى أو التطرف. وإذا تحدثنا عن سوريا وليبيا فنجد الإرهاب وهو ظاهرة مدمرة للغاية.

**المؤلِّف:** لقد تحدثنا عن هذه التبعات في عام 2011م.

**م.بوجدانوف:** لقد ذكرنا ذلك منذ البداية. البعض لم يفهم هذه الحقيقة والبعض الآخر اصطنـــع أنه لا يفهم. ربما كان الهدف هو زعزعة الاســـتقرار في بعـــض الدول أو في المنطقة بأسرها لأنه عندما تخلق ''فوضي تحت السيطرة'' أو ''أزمة تحت السيطرة'' فهذا يمنح شركائنا الغربيين فرصة وإمكانية ''الصيد في الماء العكر''.

**المؤلِّف:** يعني ذلك أنهم هم من دفع بالأحداث في هذا الاتجاه.

**م. بوجدانوف:** بلا شـــك. هذا ما حـــدث. فتلك حقائق واقعية. علمنا ذلك من أناس شـــاركوا في المظاهرات. ســـافر هؤلاء إلى أمريكا وتلقوا برامج تدريبية خاصة تمامًا مثل البرامج

التى تدرب عليها معارضو الرئيس اليوغوسلافي **سلوبودان ميلوسيفيتش**.

**المؤلِّـف:** كتبت عن ذلك. أمر آخـر أن الأمريكيين ربما كانـوا يريدون خلق نوع من الضغـط من القاعدة الجماهيرية على الأنظمة في ظل علمهم بحتمية إجراء تحولات وحرصهم في الوقت نفسه على عدم تحول الوضع إلى حالة الفوضى الشاملة.

**م.بوجدانـوف:** ربما أرادوا ذلك بالفعل ولكن ما حـدث في الواقع كان مخالفًا لما أرادوا. فالديمقراطية وحقوق الإنسـان هي شعارات لا تضع في حسبانها خصوصية المجتمعات العربية وتقاليدها وطريقة التفكير. فهنا وعندما تضعف السـلطة المركزية تكون النتيجة حدوث حالة من الفوضى وعدم الاستقرار وانهيار الدولة.

**المؤلِّـف:** ولكن ربمـا أراد الأمريكيون الأفضل لهذه المنطقة ولكنهـم ارتكبوا الكثير من الأخطاء؟

م. **بوجدانوف:** ومن طالبهم أن يتدخلوا هناك؟

**المؤلِّف:** لم يطلب منهم أحد ذلك. ولكن كانوا يعتبرون أنفسهم في التسعينيات والعقد الماضي الزعيم الأوحد المهيمن في العالم. ووفقًا لكل المؤشـرات العسكرية والمالية والاقتصادية والابتكاريـة وحتى ''**القوة الناعمة**'' كانت الولايات المتحدة في مقدمة الجميع وكانت تعتبر نفسها زعيمًا أوحد.

م.**بوجدانـوف:** ومن جعلهـم زعيمًا في هذه المنطقة؟ كانوا هم أنفسـهم يطلقون على أنفسهم ذلك. لم يطلب منهم أحد التدخل. وهنا تكمن المشكلة. هم يعطون أنفسهم الحق في إلقـاء الدروس على الجميع وفرض قيـم بعينها ومعايير وأفكار خاصة بهم. وهذا لا يروق لأحد. فقيمهم لا تناسب هذه المنطقة بل تؤدي إلى الفوضى والانهيار.

**المؤلِّـف:** أتذكر تصريحات الخـبراء الروس المؤيدين للتعاون مع الأطلسـي عندما كانوا يقولون: قريبا سـتتدخل الولايات المتحدة في العراق وتفرض النظام في هذا البلد مثلما فعلت مع اليابان وألمانيا، وسيصبح العراق بلدًا ديمقراطيًّا''.

**م. بوجدانوف:** لقد وصلوا إلى اليابان وفرضوا النظام ولكن سـبق ذلك إلقاء قنابل ذرية على مدينتي هيروشيما وناجازاكي المسالمتين. فمن سيعجبه ذلك؟ في دقيقة واحدة قتلوا مئات الآلاف من الأبرياء في اليابان. هل كانوا يخيفون الإمبراطور؟ أم ماذا؟



obeikandl.com

**المؤلِّف:** كان هناك تحذير مشـــابه موجه إلينا قبل ثلاثة الى أربعة أشهر قبل إلقاء القنبلة عندما قـــام الأمريكيون مع الإنجليز بقصف مدينة **دريزدين** وقتل حوالي مائة ألف شـــخص بدون استخدام قنابل ذرية.

**م.بوجدانـــوف:** ولكن إلقاء القنبلة الذرية كان حدثًا فريدًا في التاريخ. لم يجرؤ أحد قبلها على القيام بذلك. كان ذلك امتهانًا للديمقراطية على الطريقة الأمريكية.

**المؤلِّـــف:** كانت أمريكا غير راضية عن عزل **مرســـي** لأن ذلك يعد بمثابة خرق لقواعد الديمقراطية...

**م. بوجدانـــوف:** لقد خرقت هذه القواعد مرات قبل ذلك ولن تكون تلك المرة الأخيرة. المشكلة تكمن في أن المصريين أنفسهم أصبحوا يقولون: إن وصول **مرسي** عبر الصناديق هو نصف إنجاز. عليه أيضًا أن ينســـحب نزولاً على رغبـــة الناس. ولكن **الإخوان** رفضوا القيام بذلك. يريدون الوصول إلى السلطة ولا يريدون الانسحاب وفقًا القواعد الديمقراطية ذاتها. لقد وصلوا بالمجتمع إلى حالة أزمة متفاقمة وقام الجيش بإنقاذ البلاد من الفوضى والحرب الأهلية. هل يبدو الأمر غير ديمقراطي تمامًا؟ ماذا كان عليه أن يفعل حينها؟

كان كثيرون في مصر ضد **مبارك** ثم ضد **مرســـي**. والآن تقف المعارضة الإســـلامية ضد الرئيس **السيســـي**. أحيانًا تســـتمع إلى تقييمات مريرة. حدثت في مصر ثورتان إحداهما ضد **مبارك** والثانية ضد **مرســـي**.بعد الثورة الأولى تقدم الجيش لفرض الأمن والاســـتقرار بعد فترة فوضى. انتصر **مرســـي** عضو **الإخوان المســـلمين** في الانتخابات ثم عمت الفوضى فتقدم الجيـــش حافظ على تماســـك البلاد وأنقذها من الحرب الأهلية. يعـــد ذلك بمثابة نجاح كبير وشـــرف يستحق المديح لكل من حافظ على تماسك البلاد ونجاتها من الحرب الأهلية. والآن أصبح أعضاء **الإخوان** في السجون. و**محمد البرادعي** رمز الليبرالية يعيش كالسابق في فيينا. وتجني البلاد ثمار فترة التوتر تلك بأن تراجع اقتصادها كثيراً. ومن الوجهة الأمنية ســـاء الوضع أكثر وكان لذلك أثره على المناخ الاســـتثماري وعلى السياحة التي تعرضت لضربة قاسيه بعد سقوط الطائرة الروسية في سيناء. انخفض دخل قناة السويس قليلاً عما كانت تدره في سنوات الاستقرار. تلك كانت النتيجة. انخفضت الاحتياطيات في البنك المركزي.

وبعد ثورة 25 يناير قررت الإدارة الأمريكية ســـريعا قبول وصول **الإخوان المسلمين** إلى الحكم على الرغم من خيبه أملهم فيهم سريعًا.

وعلى الرغم من التوقعات السلبية المتشائمة للمخابرات الأمريكية اتخذ الرئيس أوباما قرارًا بتوجيه ضربة عسكرية لإرغام **القذافي** على ترك الحكم. الا أنه لم يكن هناك إجماع بين أمريكا وحلفائها على تقييم الوضع في ليبيا وتبعات التدخل العسكري فيها.

كانت القيادة العسكرية للعمليات التى قام بها حلف الناتو في ليبيا تؤكد على التزامها بقرار مجلس الأمن رقم 1973 والذي كان يهدف إلى حماية السكان المدنيين. اشترطت أمريكا وفرنسا وبريطانيا تنازل **القذافي** عن السلطة دون شرط رغم أنه لم يكن من بين أهداف قرار مجلس الأمن رقم 1973. وانضم إليهم الرئيس الروسي لاحقًا؛ ولذا فقد بات اندحار قوات القذافي أمرًا محسومًا.

وأظهر البيت الأبيض تحفظًا بعض الشيء في موقفه من الأزمة في سوريا. كان المسؤولون في واشنطن يعون أن الفوضى في سوريا يمكن أن تنتشر، وتمتد للبلدان المجاورة. ثم سرعان ما تغير الموقف الأمريكي بشكل جذري.

فقدت واشنطن ثقتها بنفسها كضمانة للأمن والاستقرار الإقليمي في الخليج العربي وقامت باستغلال مخاوف دول الخليج من خطط إيران التوسعية. [48]

وحتى مع وضع الثورات العربية في الحسبان، بقيت التسوية الشرق أوسطية العقدة الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط إلا أن جهود واشنطن لم تتعد حدود التصريحات الدبلوماسية.

وقد ساعدت لقاءاتي مع الزملاء الأمريكيين في عام 2011م على توضيح موقف الولايات المتحدة الأمريكية حيال بعد النقاط:

إن قوة وانتشار الاحتجاجات في منطقة الشرق الأوسط والأدنى وشمال إفريقيا ضد النظم الحاكمة الحليفة للولايات المتحدة كان مفاجئًا وغير متوقع من قبل الدوائر الرسمية في واشنطن. ولم يدر أي حديث عن عودة الاستقرار في المنطقة. كما كانت نتائج الثورات مجهولة.

طرح المسؤولون في واشنطن على أنفسهم سؤال: ماذا سيحدث مستقبلاً؟ ما هي الحكومات التى ستصل إلى السلطة في البلدان العربية؟ وهل ستنجح الإصلاحات؟ هل ستبقى النظم الجديدة وتستقر؟

لم يكن من الواضح كيف سيكون الوضع في العراق وأفغانستان بعد انسحاب القوات الأمريكية.



obeikandi.com

لم يكن المسؤولون في واشنطن يعرفون كيف ستكون نهاية هذه الثورات وهل ستكون هناك موجات ثانية أو ثورات مضادة؛ ولذا فقد كان هدفهم في تلك المرحلة العثور على الشخصيات التي يمكن أن يقيموا معهم اتصالات.

كان هناك اختلاف مبدئي بين علاقة واشنطن بالاحتجاجات المعارضة ضد الاتحاد السوفيتي وبلدان شرق أوروبا وبين موقفها من الاحتجاجات في الدول العربية. كانت واشنطن تؤيد الشارع في الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا وقامت بالتمويل والدعم وتحريض وتوجيه الشارع. أما في المنطقة العربية فقد أيدت واشنطن في البداية زعيمي تونس ومصر حيث كانت تربطهما بها علاقات قوية ثم سرعان ما غدرت بهما.

لم تكن واشنطن تنوي الانسحاب من المنطقة نظرًا لأهميتها ولكنها كانت تود البقاء "**برداء آخر**". وفي المدى المتوسط والبعيد ربما كانت تؤمل نفسها بتعاون وطيد إذا ما وصلت قوى ليبرالية إلى السلطة. وقررت واشنطن إلى حين البحث عن قنوات اتصال مع إسلاميين معتدلين.

كانت الولايات المتحدة مازالت مشغولة بالعراق وأفغانستان. ولم تشأ التدخل في الشؤون الليبية بل تركت مسؤولية هذا البلد على عاتق حلفائها في الناتو.

وفيما يتعلق بالوضع في الخليج العربي والبحرين فإن قرار إرسال قوات سعودية إلى البحرين اتخذ دون موافقة واشنطن. وصرح المسؤولون في واشنطن: "ليس بوسعنا التدخل في كل الدول. فليقم العرب بحل هذه المشكلة بأنفسهم". دعت واشنطن الأطراف إلى الحوار. ولكن لا يمكن أن تتوقع الكثير من الولايات المتحدة الأمريكية. ترافقت رؤى الخبراء الأمريكيين مع خطابات معتادة عن وجوب التحوط والحذر من إيران التي تقف خلف احتجاجات الشيعة في البحرين وتنتهج سياسة خطيرة في سوريا والعراق وفلسطين وتطور برنامجها الصاروخي وربما تنجح في صنع قنبلة نووية.

ومنذ 20 عامًا وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي اعتقدت واشنطن أن بوسعها فعل ما تريد وأنها تهيمن بشكل مطلق على العالم. ولكن وفي بداية العقد الحالي ظهرت العديد من المشكلات في داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفي مختلف مناطق العالم. تنامت القدرة الاقتصادية والعسكرية للصين؛ ولذا فقد أصبحت واشنطن تبحث عن شركاء جدد والتأقلم مع النظام العالمي الجديد. لم يكن في مقدور أمريكا أن تنوب عن الجميع. أصبح على أمريكا

صياغة مبادئ جديدة للشـراكة مع دول الشرق الأوسـط والأدنى وشمال إفريقيا مع الحفاظ على دور الزعامة لواشنطن.

كانـت الولايات المتحدة الأمريكية ترغب في أن يقـوم حلفاؤها الأوربيون بحل جزء من قضايا المنطقة ولكن الاتحاد الأوروبي كان يعاني من صعوبات داخلية.

وفي البلـدان العربيـة دار الحديث عن ضرورة تنفيذ "**خطة مارشـال**"[49] لتطوير اقتصاد البلدان العربية غير النفطية. وتعاملت واشـنطن مع هذه المقترحات بشـيء من التحفظ بعد النفقـات الهائلة الـتي تكبدتها وما زالت في العراق وأفغانسـتان. كما كانت البلاد تعاني في الداخـل من تبعات الأزمة المالية. كان أي قرار بتخصيص اعتمادات مالية ضخمة يجب أن يمر عبر الكونجرس الذي يسـيطر عليه الجمهوريون. كانت أي مساعدات للبلدان العربية في نظر واشنطن يجب أن تأتي من بلدان الخليج النفطية الغنية ودول الاتحاد الأوربي إلا أن هبوط أسعار النفط ذهب بهذه الآمال أدراج الرياح.

تظاهر **أوباما** أنه يدافع عن مصالح النخبة السياسـية الداعمة له وأنه سيتجاهل في سبيل ذلك مصالح أصدقائه وشـركائه. وفي ظل ذلك كان يضع في حسـبانه أن المشـاعر المعادية لأمريكا في العالمين العربي والإسـلامي سـتبقى. دار الحديث عن تنامي التطرف الإسلامي وعدم إمكانية تسـوية النزاع في الشـرق الأوسط. كانت المشـكلة تكمن في أن التحولات السياسية الداخلية قد خرجت عن سيطرة اللاعبين الرئيسيين واكتسبت منطقًا خاصًّا بها.

كان الغرب ينظر إلى وصول الحركات الإسلامية المتطرفة إلى السلطة كعامل سلبي. إلا أنه كان على قناعة بأنه سـيتمكن لاحقًا من تحييد وتجاوز هذه المشـكلة عن طريق الاتفاق مع الإسلاميين.

وإذا رغب السياسـيون في الغرب في اسـتغلال الإسـلاميين لمصلحتهم فإن الإسلاميين أيضًـا قد أرادوا اسـتغلال الغرب لصالحهم ودعم مواقفهم حتى الوصول إلى السـلطة. ففي الخمسـينيات إلى السـبعينيات من القرن الماضي كان لدى الغرب والإسـلاميين عدو واحد وهو الشيوعية والاتحاد السوفيتي والأنظمة المعادية للغرب. أما اليوم فلكل عدوه. تغير الوضع بشـكل سـريع لدرجة أن سياسـات الأمس أصبحت خاطئة من وجهة نظر اليوم وربما غدًا يطويها النسيان تمامًا.



obeikandl.com

تعاملت **تل أبيب** بحذر شـــديد مع تغير الأنظمة وخاصة في مصر. فقد سادت حالة من السلام البارد بين إسرائيل وكل من مصر والأردن وحالة ''**اللا سلم واللا حرب**'' مع سوريا وهو ما منح إسرائيل حرية الحركة في التعامل مع الفلسطينيين واعتبر ضمانة للأمن والاستقرار. ومع تزايد حالة الغموض السياســي في المحيط العربي بعد الاعتراف بالأحزاب الإســلامية في الفترة بين عامي 2013-2011م في مصر والتقارب مع حماس وإيران أصبح الإســرائيليون يتخوفــون من انــدلا ع بؤر غضب جديدة من جانب العــرب. وعلى خلفية الاحتجاجات والثورات العربية أصبح الوضع المأســاوي للفلســطينيين في الأراضي المحتلة يستقطب تعاطفًا عالميًّا وعداء لإسرائيل.

وكان موقف رئيس الوزراء **نتنياهو** ومعاونيه واضحًا تجاه موقف إسرائيل من الوضع المتغير حولها: ألا وهو ضرورة الارتقاء بقدرات إســرائيل العســكرية والاستمرار في إقناع الغرب بأن إسرائيل هي البلد الوحيد الديمقراطي في الشرق الأوسط وواحة الاستقرار في محيط من العداء والوحشية وقلعة من قلا ع الغرب في ''صدام الحضارات''[50]. وقد أيدت الحكومة الإسرائيلية بكامل أعضائها هذا الموقف وكذا المعسكر الموالي لها. كان العدو الأول لإسرائيل في المنطقة هي إيران وكانت كل النقاشــات تدور حول ما إذا كانت هذه الأحداث ستضعف أو تدعم التأثير والنفوذ الإيراني.

## وماذا عن روسيا ؟

كانت القيادات في **موسكو** تدرك بل وتوقعت رسميًّا الأحداث الخطيرة التى عاشتها منطقة الشرق الأوسط والأدنى وشمال إفريقيا. ومن عام لآخر كانت المواقع الرسمية للخارجية الروسية تتحدث عن ذلك. وفي تقرير واســتعراض لنشاط الدبلوماســية الروسية الخارجي خلال عام 2009م وعند تناول الوضع في هذه المنطقة تمت الإشــارة إلى أن ''منطقة الشــرق الأوسط وشمال إفريقيا تشــهد وضعًا غير مســتقر على الإطلاق بســبب العديد من الأزمات المرتبطة بالخلافــات العقائدية والطائفية وتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي. وشــهدت العديد من البلدان حالة من التوتر السياســي الداخلي. وقد تواصلت الجهود الدولية لإنقاذ الشــرق الأوسط من مرحلة الأزمة المزمنة ولعبت روسيا دورًا كبيرًا في ذلك.

كان التعاون المتبادل مع بلدان المنطقة يهدف إلى توســيع الحوار السياســي على أساس من رؤية أوسع للنظام العالمي المعاصر وتطوير المشروعات المتبادلة في المجال الاقتصادي''[51]



obeikandl.com

وحاولت روسيا لفترة الابتعاد والنأي بنفسها عن أحداث المنطقة. إلا أنها لم تتمكن من البقاء هكذا طويلاً. وكانت الأزمة الليبية بمثابة الاختبار الأول لروسيا.

لم تتخذ روسيا موقفًا واضحًا منذ البداية تجاه الثورات العربية. كان هناك توقع بحدوث قلاقل. إلا أن أحدًا لم يتوقع حجمها وقوتها وآثارها. وبالطبع تطورت أحداث الثورات العربية وفقًا سيناريوهات مختلفة تتشابه فيما بينها في بعض الأمور وتختلف من حيث درجة العنف وخصوصية البلد؛ ولذا كانت هناك ضرورة إلى صياغة سياسة خاصة في التعامل مع كل حالة غير أن **موسكو** بقيت مشاهدًا سلبيًّا لم يتخذ أي خطوات للتأثير على الأحداث حتى وقعت الأزمة السورية.

قبيل الربيع العربي قامت روسيا بإرساء علاقات مع النظم الحاكمة، وكانت هناك أرضية رحبة للتعاون بين الجانبين. لم تحاول روسيا ولم تستطع أن تصبح شريكًا أساسيًّا لأغلبية البلدان العربية ولم تقترح نموذجًا للنظام السياسي غير أن جوانب التأثير كانت في تزايد وهو ما توافق مع مصالح الجانبين. كانت التحديات والتهديدات الجديدة وعدم الاستقرار والغموض سببًا في تضرر قطاع الأعمال الروسي والمصالح الوطنية للدولة.

وشهدت الدوائر العلمية والحكومية جدل بين وجهتي نظر أساسيتين تجاه الثورات العربية: **أولاها** تكمن في الأسباب الداخلية التي كانت تتعرض لمؤثرات خارجية والتي سبق **للمؤلف** إيجازها. وأضيف هنا رأي **بريماكوف**: " إن الربيع العربي لم يكن مخططًا خارجيًّا. فالولايات المتحدة وحلفاؤها كانت على وفاق مع الأنظمة الحاكمة بما فيها في مصر واليمن وتونس والبحرين. كانت هذه الأنظمة على وجه الخصوص تنتهج سياسات تستهدف الإسلاميين والمتطرفين وتحارب التنظيمات الإرهابية وتتعاون بشكل وثيق مع واشنطن" [52]

كما **طرح سيرجي لافروف** تقييمًا متزنًا وواقعيًّا للأحداث في العالم العربي عندما قال: " إن التحولات في العالم العربي تعود إلى سلسلة من العوامل المهمة منها الموضوعي ومنها الذاتي. وتكتسب هذه العوامل الطابع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. لم تستطع النظم الحاكمة توفير الاحتياجات الضرورية للمواطنين وبدت غير مستعدة لقبول التغيير. شهدت هذه الدول أزمات مزمنة مرتبطة بالفساد وعدم المساواة والبطالة. أما ما يتعلق بالعوامل الذاتية فتلك قضية معقدة أو قل فلسفية. بالطبع لعبت تحولات العولمة دورًا كبيرًا في الأحداث وعلى الجانب الآخر منها سعي الشعوب إلى تأكيد هويتها الثقافية والحضارية. ويمكنا أن نلحظ مظاهر هذا الاتجاه في مختلف بلدان المنطقة.

وبطبيعة الحال نحن هنا لا نتحدث عن كون الربيع العربي كان صنيعة واضعي نظرية ''الشرق الأوسط الكبير''. أضف إلى ذلك أنه لا أحد من هؤلاء توقع هذا التطور في الأحداث. وأنا هنا أتحدث عن شيء آخر ألا وهو محاولات البعض فرض نموذج حكم معين في بلاد أخرى وتصدير قيمه وتجاهل التقاليد والقيم والثقافة الخاصة بالغير وهي محاولات دائمًا ما تبوء بالفشل. وفي روسيا كانت هناك قناعة بأن وتيرة وأشكال التحولات الديمقراطية يجب أن تتبلور في داخل المجتمعات نفسها التى بدأت طريق الإصلاحات ودون تدخل من الخارج.

ومنذ بداية الأحداث والتوترات في العالم العربي دعمت روسيا الآمال والطموحات العادلة للشعوب. حيث قمنا بالاعتراف بنتائج الانتخابات في مصر وتونس وليبيا والتى جرت في مناخ ديمقراطي. كما صرحنا باستعدادنا التعاون مع الفائزين في هذه الدول والقوى السياسية الجديدة بغض النظر عن مواقفها الأيديولوجية. وهنا ننطلق من أن التحولات يجب أن تتم سلميًّا وفي إطار حوار داخلي شامل أخذًا في الاعتبار مصالح جميع الأطياف السياسية والعرقية''[53]

غير أن ''**نظرية المؤامرة**'' نالت انتشارًا أوسع وسيطرت على وسائل الإعلام الروسية.

وكتبت الباحثة الروسية في شؤون الشرق الأوسط **إ.زفياجيلسكايا**: [54] ''كان للثورات الملونة في بلدان الاتحاد السوفيتي السابق (أوكرانيا وجورجيا وقيرغيزيا) تأثيرها في بلورة أفكار وتصورات مفادها أن الاحتجاجات المعارضة للحكومات يجرى تنظيمها بدرجة أو بأخرى بدعم من الغرب. حتى إن هناك من كبار المسؤولين من كان يؤمن بهذه الأفكار''. واقتبست الباحثة تصريحًا للرئيس الروسي **ديمتري ميدفيديف** في فبراير 2011م في مدينة **فلادي قفقاز** وأثناء اجتماع لجنة مكافحة الإرهاب: ''انظروا إلى الوضع في الشرق الوسط والعالم العربي. الموقف متأزم. وعليهم مواجه المزيد من الصعوبات. وهناك حديث عن تفكك بلدان كبيرة وكثيفة السكان وتقسيمها إلى دويلات صغيرة. ومن المحتمل بقوة أن تقع أحداث خطيرة بما فيها وصول المتطرفين إلى سُدة الحكم. وهذا يعني اشتعال حرائق في المنطقة ستمتد إلى عقود وانتشار للتطرف. يجب أن نواجه الحقيقة. كانوا يخططون لسيناريو مشابهه في روسيا...''[55]

وتواصل الباحثة: '' إن العاصفة التى اجتاحت العالم العربي في عامي 2010-2011م قد أنعشت حالة الفوبيا التى يعاني منها المراقبون السياسيون الروس من خطط القوى الخارجية

(أمريـــكا والغرب). كان الكثيرون يتحدثون عن نظريـــة ''**الفوضى الموجهة**'' التى تنتهجها الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط''.[56]

كانـــت الجملة الأخـــيرة **لميدفيديف** تحمل معاني كثيرة. فهي تـــدل أنه حتى في الإدارة الأمريكية كان هناك تسلسل في الإجراءات حيث تقوم الولايات المتحدة بدعم الثورات الملونة ضد روسيا ثم تندلع أحداث وفق سيناريو مشابه في البلدان العربي تحت اسم ''**الربيع العربي**'' ثم يتم استخدام نفس السيناريو لإضعاف وربما تفكيك روسيا.

ومن الشـــائع أيضًا إلقاء اللوم على المعارضة الليبرالية في روسيا وكون الغرب يحركها كقطع العرائـــس مع الاستشـــهاد بأحداث الفوضـــى العربية. مثل هذه الاتهامـــات تحمل جزئًا من الحقيقة. فالرأي العام أيضًا كان معارضًا لأمريكا نظرًا لأن واشـــنطن لم تكن تضع في اعتبارها المصالح الوطنية لروســـيا. أما النتائج الكارثية لأحداث الربيع العربي والتى بدا وكأنها خططت في واشـــنطن فقد منحت المزيد من الثقل والدعم للقوة الحقيقية المسيطرة ولليد القاسية حيث رفض هؤلاء تكرار ما حدث في روســـيا. وعادت مفردات حقبة الحرب الباردة من جديد إلى وسائل الإعلام الروسية. (لم تختف هذه المفردات يومًا من وسائل الإعلام الغربية).

وتقـــول الباحثة **زياجيلســـكيا**: ''إن التجربة الأليمة للتعاون مع الـــدول الغربية الكبرى بقيت جزءًا من الوعي الاجتماعي الروسي الذي هو على أتم استعداد للتعامل مع التحركات التكتونية في الشرق الأوسط في إطار **نظرية المؤامرة**''.[57] وتضاعف ألم التجربة بعد أحداث أوكرانيا والقرم في 2014م وحرب المعلومات.

وقعت القلاقل في الشـــرق الوسط والأدنى في ظروف كانت فيها الولايات المتحدة تسعى إلى إضعاف القدرة العســـكرية لروســـيا ونشـــر منظومة صواريخ على أراضي حلفائها غرب الحدود الروســـية وتوسيع الناتو ليضم جورجيا وأوكرانيا. ومن خلال مؤسسات عديدة أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها أموالاً طائلة لدعم وإيقاد نار مشـــاعر **الروسوفوبيا** في هذه الدول. وفي موســـكو كان المســـؤولون على قناعة بأن هدف الغرب هو إغلاق القواعد العسكرية الروسية في القرم ونقلها من هناك واستبدالها بقواعد للناتو وتوسيع الناتو ليصل إلى حدود روسيا.

وهكذا نظرت القيادة الروسية إلى أحداث الربيع العربي من منظور الأحداث سالفة الذكر.

و من منظور المصالح الاقتصادية ربما كان البعض في موسكو يراهن على ارتفاع أسعار النفط والغاز نظرًا لعدم الاستقرار في المنطقة، إلا أن الثورات العربية اندلعت في فترة شهدت انخفاضًا حادًّا من أسعار النفط القياسية وصولاً إلى انهيارها تدريجيًّا. وفي السنوات التي شهدت مداخيل مرتفعة من النفط لم تطور روسيا قطاع الإنتاج الخاص فيما تفشى الفساد وزادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء وأصبحت موارد الطاقة عنصرًا مهمًّا في السياسة الخارجية. تم التهام المداخيل الهائلة وإهدارها على الاحتياجات الاجتماعية وعلى استعادة القدرات الدفاعية للدولة فضلاً عما تم نهبه وتحويله إلى بنوك الغرب أو إلى أصول في فلوريدا أو الريفيرا الفرنسية. وكان لانخفاض أسعار النفط تبعات مؤلمة على روسيا.

وشهدت تلك السنوات ثورة في إنتاج "**النفط الصخري**" في الولايات المتحدة الأمريكية. كما أصبح إنتاج النفط من الرمال في كندا ذا جدوى اقتصادية. وفقدت منطقة الشرق الأوسط والأدنى أهميتها بالنسبة لواشنطن كمنطقة غنية بمصادر الطاقة. فضلاً عن ذلك تحولت الولايات المتحدة إلى أكبر مصدر للنفط والغاز في العالم وشرعت في التصدير وهو ما تزامن مع أحداث "**الربيع العربي**" التي سرعان ما تحولت إلى "**خريف عربي**". كان لهذه الاتجاهات الموضوعية أثرها في تغيير كل التقييمات السياسية الروسية للموقف في المنطقة نظرًا لأن الولايات المتحدة كانت قد توقفت فعليًّا عن شراء النفط ولم تعان اقتصاديًّا نتيجة أحداث الفوضى العربية وهو ما يعني أنها أصبحت تقبل بحدوث تجارب سياسية في المنطقة.

وتكمن صعوبة تقييم أحداث البلدان العربية في كون الحقائق الواردة على شاشات القنوات الفضائية بدت مفبركة دومًا. كان المهم التأثير على المشاهدين وعندما تم كشف زيف هذه الحقائق تم نسيانها ببساطة. كانت حرب المعلومات حرب لا هوادة فيها.

وفي العاشر من مارس 2011م كانت فرنسا البلد الأول الذي يعترف رسميًّا بالمجلس الوطني الانتقالي في بنغازي ممثلاً شرعيًّا للشعب الليبي. وقد نال المجلس دعمًا من أغلبية الدول العربية. غير أنه بقيت بعض الوحدات تحافظ على ولائها للقذافي وكانت قد اقتربت من بنغازي وعلى استعداد لتدمير مركز المعارضة المسلحة لنظام القذافي.

وفي السابع عشر من مارس اتخذ مجلس الأمن قراره رقم 1973 حول ليبيا بفرض منطقة حظر طيران فوق الأراضي الليبية مع ضرورة توفير الحماية للمدنيين.[58] وامتنعت روسيا وألمانيا

والبرازيـــل والهند والصين عن التصويت. وقامت قيـــادة الناتو بالالتفاف حول مضمون القرار حيث فسرته بكونه يفتح الطريق للتدخل العسكري في ليبيا. وسرعان ما صرح القذافي بموافقته علـــى قبول شـــروط مجلس الأمن بفرض منطقة حظر للطيران فـــوق ليبيا. غير أن قادة الناتو أخذوا يرددون أن هدفهم هو حماية الســـكان المدنيين ورغم ذلك ظلوا لسبعة أشهر يقصفون هذا البلـــد ويفتحون الطريق أمام المقاتلين لتحقيق النصر. كان الهدف الأساســـي هو خلع نظام القذافي.

**المؤلِّـــف:** كانـــت لدينا خلافات معلنة حينها بين الرئيـــس ورئيس الوزراء. حيث أطلق **بوتين** على إجراءات الناتو حملة صليبية على ليبيا. هل كان تصريحًا حادًّا؟

**م. بوجدانـــوف:**[59] في تلك اللحظـــة كانت هناك الكثير من الآراء. ولكن في نهاية الأمر تتحدد سياســـتنا الخارجية من قبل الرئيس الذي اتخذ حينها قرارًا بتمرير هذا القرار والامتناع عـــن التصويت. أما **فلاديميـــر بوتين** الذي كان حينها يرأس الحكومة فقد حذر من خدعة. وبدا في النهاية أنه كان على حق. اعتقدنا أن القرار سيتم تنفيذه على نحو معين. أما الغربيون فقالـــوا أن القرار يتضمن عبارة ''اتخاذ كل الإجراءات الضرورية لحماية الســـكان المدنيين''. وأكدوا أن هذه العبارة تخول لهم إرسال الطائرات وقصف كل المواقع.

**المؤلِّف:** ولكننا خرجنا من الأزمة الليبية بنتائج محددة. ومثلنا الصينيون.

**م. بوجدانوف:** ولهذا الســـبب تحديدًا اســـتخدمنا والصينيون أكثر من مرة حق الفيتو في سوريا لأننا فهمنا أن حلفاءنا الغربيين وبعض الإقليميين يحاولون تكرار السيناريو الليبي وشرعنه التدخل العسكري والحصول على دعم مجلس الأمن. على الرغم من أن واشنطن سبق وقامت بقصف يوغوسلافيا والعراق دون تصريح من مجلس الأمن.

وفي الثالث والعشرين من أكتوبر 2011م اجتمع المجلس الوطني الانتقالي الليبي لأول مرة بعد تحرير كامل الأراضي الليبية.[60] وقام الزعماء الغربيون ووسائل الإعلام بالاحتفال بانتصار القوى الديمقراطية في ليبيا مع التجاهل المتعمد للخراب الذي حل بالبلاد التى انقســـمت بين عشرات الجماعات المسلحة وزيادة نفوذ الإسلاميين وفرض الشريعة في بعض المناطق والعنف والقتل الجماعي.

وبالنسبة لواشنطن حدثت الاستفاقة بعد مقتل السفير الأمريكي وعدد من أعضاء البعثة الدبلوماسية في بنغازي في 11 سبتمبر 2012م.

وكتبت **زفياجيلسكايا**: ''كان موقف روسيا من التدخل في ليبيا سلبيا ويدعو للانتقاد. كانت الشكوك حول النوايا الحقيقية للغرب والدعم الواضح للقذافي سمه واضحة على حديث الصحفيين، وكذا بعض المسؤولين في الخارجية الروسية''[61]

كتب سفير روسيا في ليبيا **ف.شاموف**: '' أذكر الجميع بأن الزعيم الليبي كان دومًا ينتقد الناتو وسياساته في صربيا وكوسوفو وأفغانستان، ويعارض توسع الحلف تجاه الشرق وضمه لجمهوريات سوفيتية سابقة. كما لم يجلب له رفضه القاطع لخطط الناتو لضم أوكرانيا وجورجيا تعاطفًا من قبل المسؤولين الروس المؤيدين للتحالف مع الناتو. كتب القذافي مقالات مهمة حول هذا الموضوع ودعم روسيا علانية وإجراءاتها العسكرية في أوسيتيا الجنوبية ضد سياسة التطهير العرقي الجورجية في عام 2008م''. [62]

قام السفير **شاموف** بتلخيص الحقائق كما هو عهد السفراء. تمت إقالته بعد هذه التصريحات وقبيل التصويت على قرار مجلس الأمن رقم 1973م. كان التعويل على التعاون مع الغرب رغم تجارب الفشل السابقة يتجاوز العلاقات مع حلفاء من أمثال القذافي. وأصبح السفير الروسي ضحية لهذه الظروف. أصبحت روسيا تطلق على **القذافي** ''**حاكمًا غير شرعي**'' ودعته للتخلي عن الحكم. (نشير هنا إلى أن تعامل الخارجية مع السفراء ''**المزعجين**'' كان رحيمًا فلم يتم معاقبة السفير **شاموف** بل وتم إيفاده لاحقًا في عهد الرئيس **بوتين** للعمل سفيراً في موريتانيا)[63]

ويتحدث **ميخائيل بوجدانوف** عن تفاصيل اتخاذ القرار رقم 1973[64].

**م. بوجدانوف**: تحدثنا أكثر من مرة مع العرب وسألناهم كيف يمكنا مساعدتهم؟ لا نفرض أنفسنا ولكن إذا كان بمقدورنا فعل شيء سنفعله. وذلك نظرًا للعلاقات الودية التي تربطنا بالعرب. ولكن وفي لحظة معينة تم استغلال موقفنا لتحقيق أهداف كنا نرتاب حولها ولكننا أبدا لم نرحب بها أو نقبلها. بدأت الأحداث في ليبيا. احتجاجات في بنغازي ثم ثورة ثم تعامل القذافي مع الأحداث كدكتاتور ثم اندلا ع حرب حقيقية. كنت سفيراً لروسيا بالقاهرة وممثلاً لها في جامعة الدول العربية. دعاني السيد **عمرو موسى** (الأمين العام للجامعة في ذلك الوقت) وقال لي: ''**ميخائيل!** إذا كنتم أصدقاء للعرب فإنه يتوجب عليكم دعم

قرار مجلس الأمن ضد القذافي والذي يسمح بفرض منطقة حظر للطيران. أجبته قائلاً: ''ها هم الأمريكيون يدعمون فرض منطقة حظر الطيران. وهذا معناه فرضية قصف كل المواقع العسكرية على الأرض. إذا كان الهدف هو منع طائرات القذافي من التحليق فإنه سيوافق على ذلك. وإذا كنتم ترون أن القذافي قد أرسل دباباته إلى بنغازي فإنه وكما اقترح رئيس جنوب إفريقيا **جيكوب زوما** وبعثة الوساطة للاتحاد الإفريقي يمكن إجراء مفاوضات سياسية حول الأمر. وأنتم في الجامعة العربية تقولون إنه لا داعي لذلك. الجامعة العربية ترغب في أن يتخذ مجلس الأمن هذا القرار. وروسيا بوصفها عضوًا دائما بالمجلس يجب أن تدعم ذلك ولن تستخدم حق الفيتو''. ''لماذا؟- لأنكم كنتم تقولون لنا دوما أننا أصدقاء. وكل ما يريده العرب ستدعمونه آليًّا لأنكم أصدقائنا. ونحن نطالبكم كأصدقاء أن تدعموا موقفنا''.

**قلت له:** ''وهل فكرتم في الأمر جيدًا؟''

- ''نعم لقد فكرنا جيدًا. هذا ما نحتاجه''.

حينها امتنعت روسيا عن التصويت. وفي الحقيقة خدعنا الغرب حين قاموا بتفسير القرار على هواهم وكأن القرار يخول لهم قصف ليبيا وتدمير وخلع نظام القذافي. هذا ما حدث.

**المؤلِّف:** وهل كان الغربيون مخطئون في حساباتهم للتبعات؟

**م. بوجدانوف:** لنتذكر معًا: لقد خلعوا **صدام حسين** وانهار كل شيء لأنهم لم يقوموا بإعداد بديل جيد لخلافة نظام **صدام**. والأمر نفسه حدث في ليبيا وعندما انهارت السلطة لم يستطيعوا أو لم يرغبوا في وضع البديل.

وكل من **بوتين** و**ميدفيديف** خرجا بدروس من خلال الأحداث في ليبيا. تغيرت القناعات في موسكو وبكين التي كانت قد امتنعت هي أيضًا عن التصويت على القرار. وقد أبلغني السياسيون الصينيون بذلك. الأمر لا يتعلق فقط بخسائر اقتصادية لروسيا والصين بل هو أكثر خطورة من ذلك: فالتدخل العسكري تحت غطاء إنساني يمكن أن يتحول إلى أداة شاملة لعزل أي نظام لا يروق لهم. كانت هناك محاولات لتكرار الأمر في سوريا. وسنتحدث تفصيلاً عن ذلك في الفصل القادم.



obeikandi.com

## علاقات خاصة مع مصر

بعد خلع **محمد مرسي** بقي الوضع الاقتصادي والاجتماعي في مصر حافلاً بالمتناقضات. فمن ناحية لوحظ نمو في الاقتصاد وساعد على ذلك المساعدات التى قدمتها الملكة العربية السعودية والإمارات والكويت لمصر وبلغت حوالي 12 مليار دولار وهو ما ساعد على استقرار الوضع خلال المرحلة الانتقالية.[65] إلا أن المساعدات سرعان ما تقلصت. ونجحت مصر خلال فترة وجيزة في تحسين مؤشراتها الاقتصادية. وتم إنجاز مشروع قناة السويس الجديدة خلال فترة قياسية. وحصلت مصر على قرض صندوق النقد الدولي بقيمة 12 مليار دولار واستبقت ذلك باتخاذ خطوة إصلاحية جريئة بتعويم سعر الجنية المصري، وهو ما تسبب في بعض الارتفاع في الأسعار.

وقام الجناح المتطرف في "**الإخوان المسلمين**" بتنظيم احتجاجات اتسمت بالعنف. وكانت قناة الجزيرة القطرية ترعى الاحتجاجات وتهيج مشاعر المواطنين وتدعوهم إلى الخروج في مظاهرات معادية للحكومة. وشهدت شبه جزيرة سيناء عمليات عسكرية قام بها الجيش المصري ضد متطرفين. وكان جزء كبير من الشباب غاضبًا من حكم الإسلاميين.

لم يختف "**الإخوان المسلمون**" ولكنهم تواروا عن المشهد السياسي. جرت انتخابات البرلمان المصري الذي أصبح يسمى "**مجلس النواب**" في أكتوبر 2015م. ونجح أحزاب مؤيده لحكومة ومستقلون في تحقيق أغلبية الأصوات. ولم تنجح جماعة "**الإخوان المسلمين**" المحظورة بموجب القانون من تحقيق أي صوت وإن كان من المحتمل وجود البعض منهم تحت غطاء المستقلين.

وبقيت العلاقات متوترة بين مصر والجماعات الليبية المتطرفة التى أقدمت على قتل 21 قبطيًّا وهو ما دفع مصر إلى قصف مواقع لمتطرفين في ليبيا.[66]

وغلبت البرجماتية على موقف روسيا من أحداث الثورة في مصر بعد فبراير 2011م. تكفلت المصالح الأساسية للبلدين وغياب خلافات مبدئية بينهما تحقيق التقارب والتعاون خلال العقد الماضي. واستمر الأمر هكذا على الرغم من التعرجات التى شابت الوضع السياسي في مصر. كانت هناك أهداف واضحة للتعاون عندما كان **مبارك** في سُدة الحكم.

وحين وصل **الإخوان** الى السلطة أخذوا يبحثون عن سبل للتقارب مع روسيا وكان هناك تفهم روسيا لهذه الرغبة.

التقى **محمد مرسي** مرتين مع **فلاديمير بوتين**: المرة الأولى في **دوربان** بجنوب إفريقيا على هامش انعقاد قمة مجموعة **بريكس** في مارس 2013م. والمرة الثانية بمدينة **سوتشي** في إبريل من العام نفسه. وبطبيعة الحال كان غياب الاستقرار في مصر في عصر **الإخوان** فضلاً عن افتقادهم للخبرة في السياسة الخارجية من العوامل التى عرقلت القيام بمشروعات جادة مشتركة.

و بعد خلع **محمد مرسي** في يونيو- يوليو 2013 تعاملت واشنطن والبلدان الغربية مع الأمر بشيء من الغضب. وهذا طبيعي نظرًا لفشل نظريتهم المحببة ''**الديمقراطية**'' وانهيار آمالهم في تنصيب ''**إسلاميين معتدلين**''. أوقفت واشنطن المساعدات العسكرية التى استمرت لثلاثة عقود.

وتولى السيد عدلي منصور منصب الرئيس المؤقت لمصر وكان **المشير عبدالفتاح السيسي** هو وزير الدفاع والقائد العام للجيش.

وبدت الأجواء الجديدة مهيأة لتحقيق تقارب بين روسيا ومصر. وتجلى ذلك في المباحثات التى عقدت بين وزراء الدفاع والخارجية في البلدين ''2+2'' (**سيرجي شايجو وسيرجي لافروف وعبد الفتاح السيسي ونبيل فهمي**).

وعقد اللقاء الأول بالقاهرة في نوفمبر 2013م. وقبل ذلك رسى الطراد الروسي ''**فارياج**'' في ميناء الإسكندرية وأصبح بذلك أول سفينة حربية روسية تزور مصر خلال عقدين من الزمن. وفي فبراير 2014م التقى الوزراء الأربعة من جديد في موسكو.

واتفق الجانبان على توسيع التعاون في المجالات العسكرية الجوية والبحرية والدفاع الجوي. ووفقًا للعديد من المصادر تم الاتفاق على توقيع عقود باستيراد طائرات ميج 29 وميج 35 ومنظومات صواريخ دفاع جوي.[67] كان ذلك بمثابة استعراض من البلدين موجه إلى واشنطن التى أوقفت صادراتها من السلاح إلى مصر بعد إبعاد **محمد مرسي**.[68]

وفي مارس 2014م وقع **المشير عبد الفتاح السيسي** و**سيرجي شايجو** على بروتوكول للتعاون العسكري والفني. كان ذلك أول اتفاق بهذا الحجم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بين البلدين.



obeikandl.com

وفي مجال التعاون العسكري والفني كانت القاهرة مهتمة بالحصول على أسلحة حديثة أما موسكو فكانت تسعى إلى ترويج تقنياتها العسكرية. وتعد الجزائر أكبر مستورد للسلاح الروسي في إفريقيا غير أن قدرات هذا السوق أخذت تتناقص. ووضعا في الحسبان تطور الصناعات العسكرية في مصر لاحظنا أن هناك تعاونًا مشتركًا بين الصناعة العسكرية المصرية وغيرها لإنتاج نماذج تقنيات عسكرية بموجب تراخيص إنتاج ومن خلال شركات مشتركة.

كانت الصين منافسًا لروسيا في مصر حيث كانت تصدر إليها أسلحة مماثلة وبأسعار أقل. وقد أصبحت الصين المورد الرئيس للأسلحة الى إثيوبيا. غير أن قدرة روسيا التنافسية كانت عالية في مجال الدفاع الجوي والطائرات.

وأصبح **المشير عبدالفتاح السيسي** رئيسًا لمصر في يونيو 2014 بعد أن فاز في الانتخابات الرئاسية في مايو 2014م.

وكانت روسيا أول دولة خارج إطار العالم العربي يقوم **السيسي** بزيارتها كرئيس لمصر. وكان ذلك في أغسطس عام 2014م. ثم قام لاحقًا بزيارة موسكو مرتين والتقى مع **فلاديمير بوتين** على هامش اجتماع مجموعة "**العشرين**" في الصين في سبتمبر 2016م.

وفي أثناء زيارته الى مصر في 10 فبراير 2015م قام الرئيس **بوتين** والرئيس **السيسي** بالتوقيع على ثلاث اتفاقيات تحدد أطر التعاون الثنائي. من بينها اتفاقية بناء محطة الكهرباء النووية في مصر ومذكرة التفاهم في مجال جذب الاستثمارات والمشاركة في بناء المشروعات على أرض مصر ومذكرة التفاهم في مجال التعاون الاستثماري. وصرحت شركة **روس آتوم** عن استعدادها لبناء أربع وحدات في محطة الكهرباء النووية باستخدام تقنية جديدة "**ما بعد فوكوسيما**".[69]

واستأنفت اللجنة الحكومية المشتركة عملها في فبراير 2015م. بدأ بحث المشروعات الاستثمارية ذات الأولوية ومنها مشروعات البنية الأساسية في مجال النقل وصناعة السيارات والصناعات الكيماوية.

وظلت مصر سوقًا مغريًا لتسويق السلع الروسية بما فيها السلع الزراعية وخاصة القمح والمنتجات ذات القيمة المضافة العالية. كانت روسيا مستوردًا كبيراً لمختلف الحاصلات المصرية. وإذا كان هناك بعض الانخفاض في الميزان التجاري بين البلدين في عام 2013



obeikandl.com

(من 4.26 الى 2.14 مليار دولار) فإن عام 2014 شـــهد ارتفاع حجم التبادل التجاري إلى 5,5 مليار دولار بفضل زيادة صادرات القمح.[70] وهناك مســـاع للوصول بهذا الرقم الى 6.10 مليارات دولار خلال السنوات القليلة القادمة.[71]

ازدهرت الســـياحة الروسية بوتيرة متســـارعة غير أنها تلقت ضربة موجعة في 31 أكتوبر 2015م عندما انفجرت طائرة إيرباص A320 فوق شـــبه جزيرة سيناء وعلى متنها 224 راكبًا (بما فيهم الطاقم) لقوا حتفهم جميعًا. تم إيقاف حركة السياح الروس إلى مصر لاعتبارات أمنية. وكانت الخسارة كبيرة للبلدين في هذا القطاع. أجري الجانبان مباحثات لعودة السائحين غير أن مسأله توفير الأمن بقيت حجر الزاوية.

وفي 2015-2016م تطـــورت العلاقـــات الثنائية بين البلديـــن في مختلف القطاعات الأخرى بما فيها العســـكري. وقام البلدان بإجراء مناورات عســـكرية مشـــتركة على الأراضي المصرية.[72]

**المؤلِّف**: هل يمكن القول بأننا كنا على استعداد للتعاون مع أي سلطة في مصر؟

م.**بوجدانوف**: لا يمكن القطع بذلك. فاختيار شـــكل الحكم هو حق أساسي وسيادي لكل شـــعب. في مصر فر الرئيس ولكن بقي على رأس الســـلطة قوى وطنية ورغم اختلاف أهدافها الاجتماعية والاقتصادية إلا أنها جميعًا دافعت عن اســـتقلال وسيادة بلادها. وهؤلاء يمكـــن أن يصبحوا شـــركاء وحلفاء لنا ونحن مســـتعدون لتقديم العون لهـــم. وكل ذلك على قاعـــدة العلاقـــات الودية التقليدية التي تربطنا بهم لعقود طويلـــة. نحن لا نقيم علاقات ليس مع أشـــخاص أو أحزاب أو منظمات غير حكومية. نحـــن نتعاون ونتعامل مع دول تحكمها سلطات شرعية ومعترف بها.

**المؤلِّف**: وماذا كان الشيء الأهم بالنسبة لنا عند تعاملنا مع القضية السورية؟

م. **بوجدانـــوف**: مبدأ عدم التدخل في الشـــؤون الداخلية. هل حان أوان الإصلاحات؟ بالطبـــع. ونحن نوافق على ذلك. وقد عملنا مع **بشـــار** في هذا الاتجـــاه. لكن تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي وتطبيق الإصلاحات الديمقراطية غير ممكن في ظل وضع متوتر وغير آمن لأنه في ظروف الحرب لا يمكن التعويل على أي إصلاحات ديمقراطية أو تنمية اقتصادية واجتماعية.



obeikandl.com

لقد انطلقنا من حقيقة أن سـوريا وشـعبها أصدقاء قدامي لنا. وقد دعمنا السوريين بعد حصولهم على الاستقلال وحتى وصول حزب البعث الى السلطة وبعدها. ونحن نبني علاقاتنا مع الدولة والشـعب السوري. ويجب على الشعب السـوري أن يحدد شكل الحكم في نهاية الأمـر ومن خلال إجـراءات ديمقراطية يوافـق عليها الجميع. ولعل أفضـل الخيارات إجراء انتخابات عامة لاختيار رئيس الدولة. إن سياسـتنا ليسـت تنافسية بل هي سياسة متواصلة ومبدئية. انظر إلى ما حدث في تركيا من محاولة انقلابية. كانت علاقتنا مع **أردوغان** سـيئة ولكنا دافعنا عنه ودعمناه بوصفه رئيسًـا شرعيًّا ضد الانقلاب على الدستور ومحاولات خلع السلطة الشرعية بالقوة.

كانت الأحداث في سـوريا على قدر من المأسـاوية ولعبت دورًا مهمًا في سياسة روسيا الإقليمية والعالمية، وهي بلا شك تستحق أن نفرد لها بابًا لسرد الحقائق وتحليلها.

obeikandl.com

## (Endnotes)

1 http://ru.danielpipes.org/10440/falsifitsirovannye-vybory-v-egipte

2 فاسيليف ألكسي، مصر والمصريون، الطبعة الثالثة، موسكو،2008م

3 فاسيليف ألكسي، تسونامي الثورات لن يتوقف، آسيا وافريقيا اليوم. 2011.العدد 6. ص.4

4 المرجع السابق، ص.5-6

5 لقاء صحفي مع ميخائيل بوجدانوف. سبتمبر 2016م

6- http://www.tradingeconomics.com/syria/gni-per-capita-ppp-us-dollar-wb-data.html

7 جرينين ل. الثورات وانعدام الاستقرار في الشرق الأوسط، موسكو،2015م، ص.25

8 Goldstone J. Population and Security: How Demographic Change Can Lead to Violent Conflict // Journal of International Affairs. 2002, 56/1, p. 11-12.

9 جرينين ل.، المرجع السابق، ص.42

10 http://www.iimes.ru/?p=13601

11 كوروتايف أ.، الثورة المصرية 2011، آسيا وافريقا اليوم، 2011، العدد 6،ص.14

12 لقاء صحفي مع ميخائيل بوجدانوف، سبتمبر 2016م

13 https://ru.wikipedia.org/wiki/Парламентские_выборы_в_Египте_(2011-2012)

14 جرينين ل.، مرجع سابق، ص. 69

15 http://www.svoboda.org/a/25035847.html

16 جرينين ل.، مرجع سابق، ص. 79

17 المرجع السابق. ص.80

18 https://ru.wikipedia.org/wiki/ Список_стран_по_ВВП_(ППС)_на_душу_населения

19 www.tradingeconomics.com/libya/unemployment-rate

obeikandi.com

20 www.un.org/ru/documents/ods.asp?m=S/RES/1973 (2011)

21 https://lenta.ru/news/2016/09/14/cameron

22 www.dailykos.com/.../-Libyan-Opposition-s-Transitional-Nat

23 http://dic.academic.ru/dic.nsf/ruwiki/631415

24 راجع بالتفصيل: كوستيليانتسيف س.، العامل الإفريقي في الأزمة اليمنية، آسيا وإفريقيا اليوم، 2016، العدد 5

25 https://lenta.ru/lib/14208941/

26 https://lenta.ru/news/2015/06/16/aqap/

27 https://lenta.ru/articles/2015/01/29/desert/

28 http://russian.irib.ir/tematicheskie--programi/palitika/американские...-за-пределами-сша/item/252508-американские-базы-в-бахрейне

29 https://en.wikipedia.org/wiki/Bahraini_protests_of_2011; http://www.presstv.ir/detail/204568.html

30 https://ru.wikipedia.org/wiki/%D0%A8%D0%B8%D0%B8%D1%82%D1%8B

31 http://english.aljazeera.net/NR/exeres/FB4F0EBF-6EED-41C2-8BEE-B45147E25A69.htm

32 https://lenta.ru/lib/14182483/

33 http://english.alarabiya.net/en/News/middle-east/2015/01/23/Saudi-Prince-Mohammad-bin-Salman-appointed-defense-minister-head-of-Royal-Court.html; Simeon Kerr. Saudi king stamps his authority with staff shake-up and handouts , Financial Times. 30 January 2015.

34 http://www.rbc.ru/politics/30/03/2014/57041a4e9a794761c0ce86e3



obeikandl.com

35 https://books.google.ru/books?isbn=1317077431

36 فاسيليف الكسي، تسونامي الثورات، مرجع سابق، ص.6-7

37 المرجع السابق، ص.8-9

38 http://sputnikipogrom.com/war/16613/lockerbie/#.WBebeo-LQps

39 http://newsru.co.il/press/01nov2011/times8222.html

40 http://www.infrance.su/forum/showthread.php?t=45047

41 http://www.ned.org/apply-for-grant/ru/

42 www.wow.com/Alliance+For+Youth+Movements

43 http://zavtra.ru/blogs/2011-03-1541

44 https://books.google.ru/books?id=6W3_AgAAQBAJ&pg=PA72&dq=George+Soros+-+a+founder+of+Open+Society+for+Middle+East+and+North+Africa&hl=ru&sa=X&ved=0ahUKEwjIhYPthZnQAhUHiiwKHYPMALsQ6AEIHjAA#v=onepage&q=George%20Soros%20-%20a%20founder%20of%20Open%20Society%20for%20Middle%20East%20and%20North%20Africa&f=false

45 russian-bazaar.com/ru/content/19071.htm

46 https://www.nonviolent-conflict.org/wp-content/uploads/2016/03/FDTD_Russian.pdf

47 لقاء صحفي مع ميخائيل بوجدانوف. سبتمبر 2016م

48 http://www.vz.ru/world/2015/5/13/745005.print.html

49 http://www.inopressa.ru/article/27May2011/corriere/marshall.html

50 بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس، القدس، 1996، ص.382

51 www.mid.ru/activity/review

52 يفجيني بريماكوف، سري للغاية. الشرق الأوسط على مسرح الأحداث وخلف الكواليس، موسكو، 2016، ص.380



obeikandl.com

53 http://inosmi.ru/world/20121109/201973659.html

54 زفياجيلسكايا إيرينا، الصراعات في الشرق الأوسط والسياسة الروسية، موسكو ، 2014، ص.75.

55 kremlin.ru/events/president/news/10408

56 زفياجيلسكايا إيرينا، مرجع سابق،ص.77

57 زفياجيلسكايا إيرينا، مرجع سابق،ص.83

58 www.un.org/ru/documents/ods.asp?m=S/RES/1973(2011)

59 لقاء صحفي مع ميخائيل بوجدانوف. سبتمبر 2016م

60 cyclowiki.org/wiki/Война_в_Ливии_после_23_октября_2011_года

61 زيفجيلسكايا إيرينا، مرجع سابق، ص. 91

62 تشاموف ف.، الدراما الليبية: رؤية دبلوماسي روسي، موسكو، 2012م، ص.574

63 مرسوم الرئيس الروسي رقم 715 بتاريخ 11 نوفمبر 2014م

64 لقاء صحفي مع ميخائيل بوجدانوف، سبتمبر 2016م

65 http://webground.su/topic/2013/07/10/t82

66 www.vz.ru/news/2015/2/15/729768.html

67 صحيفة الأخبار الروسية. 5 سبتمبر 2014م

68 www.rbc.ru/rbcfreenews/20130820142436.shtml

69 www.seogan.ru

70 https://ria.ru/interview/20151116/1321889721.html

71 ://www.ved.gov.ru/exportcountries/eg_ry_relations/eg_ru_trade

72 سيديكوف د.، حراس الصداقة 2016-// آسيا وإفريقيا اليوم، 2017، العدد الأول. ص.64-65